فركوس صالح

الحاج أحمد باي قسنطينة

1826 ـ 1850

ديوان المطبوعات الجامعية

الدكتور: صالح فركوس

الحاج أحمد باي قسنطينة

1826- 1850

ديوان المطبوعات الجامعية

© ديوان المطبوعات الجامعية 2009
رقم النشر: 4.07.3377
رقم ر.د.م.ك (I.S.B.N): 978.9961.0.1033.4
رقم الإيداع القانوني: 260- 2007

بسم الله الرحمن الرحيم

والذين جاهدوا فينا لنـهدينـهم سبلنـا
وإن الله لمــع المحسنيـــن

صدق الله العظيم

مقدمــة

من خلال البحث الذي قمت بتحضيره لرسالة الدكتوراه حول موضوع "المكاتب العربية بمقاطعة الشرق الجزائري، بين سنتي 1844-1857"[1] عثرت على وثائق جديدة لم تنشر، وكذا مجموعة كبيرة من تقارير ضباط تلك المكاتب تتعلق بشخصية الحاج احمد باي قسنطينة، آخر بايات تلك المدينة. هذه الوثائق تحدثت عن علاقات الباي واتصالاته ببعض الشخصيات الأهلية، ومواقفه اتجاه العدو الفرنسي، وعن مقاومته للغزوالصليبي بعد سقوط عاصمة بايلكة، ثم المصير الذي آلت إليه تلك الشخصية البارزة في تاريخ المقاومة الجزائرية.

لا شك أن جوانب كثيرة من حياة الحاج أحمد باي، قد بقيت إلى يومنا هذا غامضة، بالرغم من بعض الأبحاث التي خصصت لدراسة هذا الرجل[2]. ذلك أن بعد احتلال فرنسا لمدينة قسنطينة في أكتوبر 1837م وإلى غاية استسلام الباي عام 1848م، وسنة وفاته 1850م لا نكاد نطلع أو نتبين الكثير من مراحل حياته ومواصلة المقاومة ضد العدو عن طريق محاولة تعبئة القبائل وإيقاظ شعور الناس لتلبية نداء الجهاد في سبيل الله.

---

(1) عنوان هده الرسالة التي ناقشتها باللغة الأجنبية كالتالي:
"Occupation et résistance. les bureaux arabes dans la province de Constantine (1844-1857)" université Paul valèry ; Montpelier ; juin 1984 ; 462 p

(2) من أبرز هده الدراسات رسالة الاستاد عبد الجليل التميمي<< بايلك قسنطينة والحاج احمد باي 1830-1837>> و لكن اثر سقوط مدينة قسنطينة فإننا نجد أنفسنا أمام فراغ كبير من حياة هدا الباي لذا بدا لنا ضرورة العودة من جديد لدراسته من البداية حتى النهاية خاصة و قد لفتت انتباهنا قضايا أخرى جديرة بالدراسة لتلافي ما فيل و ما كتب عنه إذ لم يحظ هذا الجانب بالقسط الوفير من الدرس بالإضافة إلى كثير من المواقف الأخرى ...

إن الكفاح الطويل والشاق الذي قاده الحاج احمد قصد تحرير بلاده من المستعمر، جعل من السلطة الاستعمارية تحسب لهذا القطب حسابا كبيرا وتتبع كل تحركاته، وشهادة أحدهم وهو الجنرال شانقر نيي تكفينا دليلا عن ذلك، إذ كتب عام 1848م يقول: انه لمن الغريب جدا أن نلحظ قائدا - الحاج احمد باي - مدة طويلة يحاربنا في الوقت الذي لم تبق فيه بالقطر الجزائري اية راية حقيقية تمثل الجنسية العربية....(1)

كما كتبت عنه جمعية العلماء، مشيدة بخصاله الحميدة يوم 17 اكتوبر1937م بجريدة الميدان وذلك للرد عن التحدي الاستعماري الذي احتفل، آنذاك، بمناسبة مرور مائة سنة عن احتلال قسنطينة - مايلي:
ويكفيه افتخارا- أي الحاج احمد- أن تاريخ الجزائر يشهد له... يوم هاجم المستعمر مدينة قسنطينة بقواه العسكرية، أن وجد في هذا الباي عدوا لدودا، قاد ضده مقاومة عنيفة(2).

---

(1) A.O..M. 1 H 14. lettre de général CHANGARNIER ; gouverneur général de l'Algérie comandant supérieur de la province de Constantine ; le 29 mai 1848 (N° 88).

(2) A.O.M. 11 H 49 ; note sur la situation politique des indigènes algériens à la date du 10 au 15 décembre 1937 EL MIDEN du 17 octobre 1937 ; la célébration du centenaire de constantine.

الباب الأول

الحــاج أحمد باي وبايلك قسنطينــة

الفصل الأول

I - إيالـــة الجزائـــر.
II - الحاج أحمد باي؟...

I - إيالــة الجزائــر:

إن فترة الحكم العثماني بالجزائر التي استمرت ما يزيد عن ثلاثة قرون، كانت ذات آثار بعيدة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ذلك أن هذه الأوضاع كانت تتأثر بطبيعة الحكم، وكذا بالشخصيات التركية الحاكمة، آنذاك، فتميزت هذه الأوضاع بالنشاط والازدهار في بعض الأحيان والركود والانحطاط، أحيانا أخرى.

ولذلك رأينا قبل تناولنا بالدراسة لشخصية -الحاج أحمد باي قسنطينة، - موضوع هذا البحث - أن نسلط الضوء على ايالة الجزائر بشكل عام منذ نهاية القرن الثامن عشر إلى غاية الاحتلال الفرنسي، ذلك أن معالم تلك الشخصية وكذا أوضاع بايلك الشرق الجزائري في ظل حكم هذا الباي لا يمكن أن تتضح, دون أن نكون صورة حقيقية على وضع الايالة الداخلي والخارجي في تلك الفترة.

1 - الوضع الداخلي:

لا شك أن دخول الجزائر تحت حكم الأتراك، كان بمثابة انقاذ لهذه البلاد من الاحتلال الأسباني، وقد تمتعت البلاد في ظل هذا الحكم ولفترة طويلة، بمكانة مرموقة وهيبة دولية، اذ توطدت ركائز الحكم وانتشر الأمن بربوع الايالة، فبين سنتي 1522-1567م، تميزت الناحية الشرقية على سبيل المثال، بإقامة ثكنات تركية ومنح ألقاب شرفية لبعض رؤساء القبائل الحليفة, الذين تم توظيفهم بشكل رسمي وربطهم بالسلطة التركية(1). لكن بنهاية القرن السادس عشر, بدأت البلاد تأخذ منعرجا خطيرا، حيث تفاقمت الاضطرابات والصراع على الحكم وكثرت الاغتيالات والمؤامرات إلى غاية النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ذلك أن حكومة الوجاك كانت تعانـي- آنذاك - من التدهور الـذي أصـابها والذي كـان يـزداد شيئا فشيئـا،

---

(1) M. Gaïd ; chronique des Beys de Constantine ; O.P.U ; Alger ; 1982 p.5.2

سائرا بالايالة نحو الانحطاط الكامل، خاصة في اليوم الذي تتوقف فيه المنافسات الأوروبية بين بعضها البعض.(1)

غير أن استعادة الايالة لقوتها في فترة تولي الداي محمد بن عثمان باشا 1766-1771م، قد مكن البلاد من أن تتغلب على العجز الذي كانت تعاني منه في الميزانية العامة(2)، وتسترجع مكانتها ومهابتها الدولية،(3) وتستكمل كذلك سيادتها الوطنية بعد تحرير مدينة وهران من الاحتلال الأسباني عام 1792م(4)، يعود ذلك إلى السياسة التي درج عليها هذا الداي وكذا الباي محمد الكبير بالغرب الجزائري، وصالح باي قسنطينة، حيث كانت تلك الشخصيات الثلاث على جانب كبير من الحنكة السياسية في تسيير شؤون البلاد والتحكم فيها. لكن اثر وفاة هؤلاء, بدأت الأوضاع الداخلية تسوء بشكل مهول، وأصبح من الصعب جدا أمام فساد الحالة أن يحدث الإصلاح أو على الأقل العمل على حماية البلاد من الخطر الخارجي.

إن الصراع على الحكم والتنافس اللاشريف من أجل كسب الأموال والثروات بشتى الطرق، هو الذي طغى - في الغالب - على السياسة التي كان يسلكها بعض الحكام الأتراك بالايالة، الأمر الذي جعل أوروبا تتحالف للقضاء على حكومتهم. فمنذ سنة 1791م، أخذت البلاد تسير نحو التدهور، واهتز نظام الحكم وكثرت الاغتيالات وانتشرت الفوضى الناتجة عن تجاوزات الحكام الأتراك وعن عزل البايات(5). كما كانت القبائل تتناحروتتمرد، فعلى سبيل المثال، قبائل الحنانشة والحراكاته والنمامشة، كانت تعيش في صراع دائم، وكان البايات يبذلون كل ما في وسعهم لإشعال

(1) H.D. de Grammont ; Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830) ; Paris. 1887, p. 240.
(2) V.de Paradis, Alger au XVIII° siècle, édité par E.fagnan, Alger, 1898, voir pp. 97-103.
(3) أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، الجزائر، 1973، أنظر ص ص 114-126، أنظر كذلك، ف.. دي بارادي، نفس المصدر ص ص 140-141.
(4) صالح فركوس، بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير، (1779-1786م)، رسالة لم تنشر، جامعة قسنطينة، 1979م أنظر، ص ص.151-174
(5) نفس المرجع، أنظر ص ص 32-32.

نيران الفتنة بينها, ففي سنة 1817م، نظم شاكر باي حملة ضد النمامشة، وعندما فرت أمامه صب غضبه على أولاد سيدي عبيد، فاخذ كل ما لديهم من أنعام. ولما كانت سنة 1822م في عهد الباي إبراهيم بن علي، تمرد النمامشة ورفضوا دفع الضرائب، فخرج ضدهم جيش غفير أخذ لهم أربعين ألف راس من الغنم(1)

ولعل ما يفسر ذلك هو أن السياسة التركية قد اتسمت بالعزلة وحالت دون إمكانية اندماج الأتراك بالأوساط المحلية، بالرغم من وجود تقارب بين الطائفة التركية الحاكمة وأوساط الأهالي منذ مطلع القرن التاسع عشر(2)، إلا أن السلطات الحاكمة تعمل ـ دائما ـ على افتعال الفتن بين العشائر حتى لا تتحد ضدها والفتنة أشد من القتل.

كل ذلك قد حال دون إمكانية تحقيق الوحدة أو الاندماج، بالرغم من أن الدين واحد، ولو اعتصموا بحبله لفازوا وانتصروا. هذا إلى جانب أن الأتراك، غالبا، ما كانوا ينقادون نحو الترف والملذات على حساب الأمة، فأثاروا بذلك سخط السكان وعرضوا سلطانهم للزوال: (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). - سورة الأنفال 53-

كانت الوضعية ماساوية، حيث نشأت كذلك بالبلاد، طبقة من الدخلاء، غالبيتها من الجالية اليهودية, وبدأت تتكون لها ثروات ضخمة عن طريق ممارسة الربا والسمسرة...الخ، على حساب أموال الدولة الجزائرية، فنما غضب السكان وسخطهم على تلك الحالة، واندلعت ثورات انتقامية متتالية في سنوات 1801 , 1804, 1805 , 1815م(3).

---

(1) محمد العربي الزبيري, التجارة الخارجية للشرق الجزائري, الجزائر 1972, انظر ص ص 23-35.
(2) ناصر الدين سعيدوني, النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية, 1800-1830, الجزائر, 1979, انظر ص ص 42-44.
(3) نفس المرجع 46-47.

يضاف إلى ذلك أن الحالة الاقتصادية للبلاد، صارت منذ نهاية القرن الثامن عشر، مقبلة على ضائقة مالية وانهيار اقتصادي كبير، فقد أصبح الفلاحون في حالة موقف عداء تقليدي مع السلطة التركية، اذ تعرضت البلاد إلى مجاعات رهيبة متتالية، وإلى انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة، ففي مدينة الجزائر، مثلا، قد هلك ما يناهز عن 13.330 من العباد بين 21جوان 1817 و6 سبتمبر 1818، وهي الفترة التي بلغ فيها المرض درجة خطيرة(1).

وإلى غاية تولية الداي حسين الحكم، لم يكن الحكام الأتراك في الغالب، يهتمون سوى بمصالحهم الخاصة(2)، غير أن هذا الداي يختلف عن أسلافه، اذ ـ باستثناء الداي محمد بن عثمان باشا ـ كان يسعى دوما للمحافظة على الأمن وعلى استمرارية حكومته، مما يفسر أيضا اختياره للحاج احمد باي(3). يؤكد ذلك ما أورده حمدان خوجة من خصال ومناقب حميدة اتصف بها، مثل النبل والشرف وحب الحرية والاعتدال، لكن كان يرى أن حاشيته تشتمل على كثير من الأشخاص ممن ليس لهم مبادئ ولا تجربة ولا شجاعة(4)، الأمر الذي سيؤدي إلى سوء العاقبة وبئس المصير.

لقد شعر الداي حسين، منذ توليه الحكم، بالخطر الذي كانت تشكله الدول الصليبية ضد الإسلام، فعمل ـ و بجدية ـ للاستعداد قصد التصدي لكل محاولة(5). لكن عاقه ـ فيما يبدو ـ مشكل القضاء على صولة الانكشارية، إذ سبقته محاولة الداي علي خوجة للتخلص منهم، بعد أن تدهورت الانكشارية كنظام وأصبحت عاملا سلبيا في الحياة السياسية والاقتصادية، بل أصبحت مثار فتنة واضطراب في البلاد، الأمر الذي ساعد ـ دون شك ـ على الاحتلال الفرنسي للجزائر، في حين كان من المفروض، أمام هذا الخطر الداهم أن يستعد المسلمون لذلك ويأخذون ـ كما دل على ذلك

(1) نفس المرجع, انظر ص ص 55-58 و 61.

(2) H.D de Grammont, op, cit ; p. 375.

(3) A.O.M., Organisation militaire de l'oudjak d'alger.

(4) حمدان بن عثمان خوجة, المرآة تقديم و تعريب: وتحقيق, د. محمد العربي الزبيري, الجزائر، 1975, ص ص 173-174.

(5) A.Devoulx. Tachrifat. Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Alger. 1852. p. 78.

ابن العنابي ـ ما اخترعه الأوروبيون من صنائع لأن في ذلك مصلحة عليا للدين والأمة الإسلامية(1). لكن لم يحدث هذا، وظلت الأمة تعيش في غفلة وتيه إلى أن حل بها قهر الرجال المتمثل في الاستعمار الصليبي الفرنسي.

2 - السياسة الخارجية:

اتفقت الدولة الأوروبية منذ مؤتمر فيينا عام 1815م ومؤتمر اكس لاشابيل عام 1818م على مبدأ القضاء على دار الجهاد، ففي 5 سبتمبر 1819م قدمت قطعة بحرية إنجليزية فرنسية تحت قيادة الأميرالين فريمونتل وجوليان إلى الجزائر، ليعلنا إلى الداي حسين قرارات مؤتمر اكس لاشابيل، التي قررت فيها أوروبا منع ما تدعيه بممارسة اللصوصية وتجارة العبيد، لكن الداي حسين رفض بإصرار شديد إمضاء الوثيقة التي قدمت له بهذا الشأن، ولم يكتف بهذا فقط, بل أكد حقه في حرية التصرف(2).

أثناء تلك الفترة، كان حسين باشا يعمل على تمتين علاقاته بالباب العالي، وبالرغم من حصوله من السلطان العثماني محمود الثاني على بواخر حربية وعتاد حربي آخر قصد تدعيم القوة العسكرية الجزائرية لمواجهة تهديدات فرنسا وانجلترا(3)، فان علاقات الجزائر بالخلافة العثمانية بقيت صورية، في حين ظلت تتعامل مع الدول الغربية الند للند(4).

لم تكن عهدئذ، أوضاع الإيالة السياسية والعسكرية وكذا الاقتصادية، تساعدها على الوقوف على أرضية صلبة حتى تتمكن من رد الاحتلال الصليبي، خاصة وأن فكرة الاحتلال قد صارت ملحة، فلطالما خامرت طموح فرنسا، منذ أن تأسست الشركة الملكية الإفريقية بمينائي: القالة وعنابة، التي اتسع نشاطها إلى تجارة الحبوب والشموع والجلود، ولعل

---

(1) د. أبو القاسم سعد الله, المفتي الجزائري ابن العنابي, رائد التجديد الإسلامي 1775-1850, الجزائر, 1976, انظر ص ص 12-57.

(2) H.D de Grammont, op. pp; 384, 385.

(3) A. Temimi, le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837) Tunis 1978 voir p 34.

(4) محمد العربي الزبيري, نفس المرجع, انظر ص ص 36-37.

حملة اللورد اكسموث عام 1816م، تمخضت بسبب المصالح المتضاربة بين فرنسا وانجلترا(1).

وهكذا بدأت أهمية الجزائر اقتصاديا واستراتيجيا، تتاكد للمستعمر منذ مطلع القرن التاسع عشر، ومن المؤكد أن القنصل الفرنسي دي فال كان احد الأنصار الداعين بإلحاح شديد لاحتلال الايالة، وتقع عليه مسؤولية تعقيد مشكل الديون وتمثيل مشكلة حادثة المروحة(2)، للقضاء على دار الجهاد وفتح المجال لفساد الكنيسة ومحاربة الإسلام.

إن ما قدمه الداي حسين لم يكن يسمح للبلاد من استرجاع مكانتها القديمة، لان عوامل كثيرة داخلية وخارجية فرضت نفسها وهيأت البلاد إلى الغزو الأجنبي: أولا – وضعية الايالة في حد ذاتها كانت تسير نحو الانحطاط والانحدار منذ سنة1791م إلى غاية سنة 1830م(3)، ثانيا – تكالب أوروبا على الايالة، وخاصة المصالح الفرنسية الاقتصادية ومحاولة النفوذ أيضا لايالة تونس وفرض الهيمنة الاستعمارية بها(4)، ثالثا – تغيير العناصر الجديرة بأخرى اقل حنكة وخبرة في ميدان الحرب كعزل اشهر قائد عرفته الجزائر وهو يحيى آغا وتعويضه بإبراهيم آغا، الذي لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام، ولم يكن يعرف الشيء الكثير من التكتيك العسكري(5)، رابعا – معركة نافارين في 20 اكتوبر1827م، وقد استنفذت تقريبا، القوة البحرية الجزائرية، بالإضافة إلى عدم تحصين شاطئ سيدي فرج أو اتخاذ التدابير اللازمة في الوقت المناسب من طرف الآغا إبراهيم(6).

تلك العوامل جميعا متظافرة، أدت إلى حصار الجزائر ثم احتلالها، إذ أوضح الحاج احمد باي – عندما أمره الداي بالاستعداد للقدوم إلى الجزائر

---

(1) نفس المرجع, ص 40.

(2) F.CH. roux France et Afrique du nord avant 1830 les précurseurs de la conquête. paris 1932 voir p. 525.

(3) M. Gaïd. op, cit, p. 6.

(4) F.CH. Roux, op. cit. voir pp, 603-608.

(5) حمدان خوجة, نفس المصدر، انظر ص ص. 188-189.

(6) نفس المصدر, ص 189.

قصد رد العدوان الفرنسي ـ أن الخطة التي وضعها صهر الداي الآغا إبراهيم لإعاقة الإنزال البحري للجيش الفرنسي كانت غير مصيبة، بل جاءت متأخرة عن أوانها، لأن تحصين سيدي فرج يحتاج إلى وقت طويل. في حين كان يرى هذا الباي خطة أخرى تستهدف مناورة الفرنسيين حتى تبعدهم عن هدفهم: الجزائر العاصمة، ثم قطع السبيل بينهم وبين مؤنهم ومراكبهم من المؤخرة، فكتب يقول: "واذا وثقتم بي واتبعتم خطتي(1)فإننا نتجه إلى وادي مازا فران، وعندما يقع احد أمرين: إما أن يهاجم الفرنسيون مدينة الجزائر، وإما أن يسيروا نحونا، ففي الحالة الأولى ننقض على مؤخرتهم فنأخذ مؤو نتهم، ونهاجم قوافلهم فنقتل المتخلفين ونعمل على قطع الاتصال بينهم وبين مراكبهم. وهذه النقطة الأخيرة سهلة جدا لان البحر يتغير ولا يسمح دائما بالنزول، أما إذا ساروا نحونا ليشنوا علينا الحرب، فان واجبنا أن نتجنب المعركة ونجر جيوشهم إلى ميدان ملائم وبعيد عن مدينة الجزائر التي هي هدف مشروعهم"(2)، غير ان هذه الخطة قد رفضت من طرف الآغا، السابق الذكر، فكانت معركة اسطاوالي ثم سقوط برج الداي ووقوع الاحتلال.

II ـ الحاج احمد باي؟

الحاج أحمد باي هو حفيد الباي أحمد القلي، وابن الشريف محمد الذي شغل منصب الخليفة في الفترة التركية، من اصل كرغلي(3). بدا الحاج احمد يبرز كرجل لامع وكفء منذ سنة 1809م عندما وصل إلى رتبة قائد العواسي، ثم تعيينه عام 1818م خليفة للباي، حيث اثبت جدارته في وظيفته

(1) تلك الخطة التي أبداها الحاج أحمد باي في الندوة الحربية التي انعقدت في مكان قريب من سيدي فرج لتحديد خطة الدفاع عن البلاد و قد شارك في الندوة إلى جانب هذا الباي، الآغا إبراهيم, و مصطفى باي التطري، و خوجة الخيل، و خليفة باي الغرب.

(2) مذكرات احمد باي و حمدان خوجة و بوضربة, ترجمة محمد العربي الزبيري، الجزائر 1973, انظر ص ص 12-14.

(3) من آب تركي و أم جزائرية.

الجديدة، الأمر الذي دفع الداي حسين إلى توليته بايلك قسنطينة وذلك سنة 1826(1) م، اذ بعد تقلده القفطان والتحاقه بمنصبه الجديد كباي وتلقيه التهانـي التقليدية، باشر وبسرعة دون إقامة أية وليمة ـ وظائفه(2) بدار الباي التي كانت المقر الرسمي للحكام الأتراك ببايلك الشرق.

يذكر محمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر في مذكراته، أن السبب في تولية الكرغلي أحمد، بايا على قسنطينة بعدما كان البايات الذين تقدموا عليه كلهم أتراك..أن كل من تولى بايا يجمع مالا ويخفيه لعواقبه ولذريته، وإذا قرب وقت الدنو ش ياخذون أموال الناس ظلما بالمصادرة والنهب والغزو على أموال العرب، وتوالت تسمية البايات وعزلهم والوطن لا يزداد إلا نقصا وضعفا وهكذا اضطروا أي الحكام الأتراك... اضطرارا كبيرا لتولية الكرغلي أحمد بايا على قسنطينة(3)، فضلا عن ذلك أن هذا الباي ـ كما أضاف أيضا الشريف الزهار ـ كان يحظى بثقة الداي حسين(4).

كان بايات قسنطينة، قد توالوا ـ بشكل غريب ـ على الحكم، اثر وفاة صالح باي. وهذه التغييرات السريعة في الحكم، لعبت الدور في تذبذب الأوضاع الداخلية بالبايلك، فكان اختيار الحاج احمد باي لتوليه إدارة الجهة الشرقية، نظرا لقوة شخصيته التي فرضت نفسها، هذا بالرغم من أن الأتراك ـ مثلما يذكر حمدان خوجة ـ قد قرروا ألا يرفعوا أحدا من الكراغلة إلى رتبة باي. غير أن الضرورة قد دفعت الداي حسين إلى تعيين هذا الكرغلي(5) ذلك أن الايالة كانت تمر ـ آنذاك ـ بمراحل حاسمة نتيجة تأزم الوضع ما بين الوجاك والحكومة الفرنسية بسبب مشكل الديون، كما هو معروف.

---

(1) L. CH. Féraud, Mongraphie du palais de constantine in R.S.A.C.1867. P. 8.
(2) A.O.M. 8H3, Organisation de l’oudjak d’alger.

(3) مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار, نقيب أشراف الجزائر، تحقيق, احمد توفيق المدني, ط. 2, 1168ه – 1246ه 1745م-1830, الجزائر, 1980, ص 160.
(4) نفس المصدر, ص 162.
(5) حمدان خوجة, نفس المصدر, ص 173.

إن لمحة خاطفة عن هذا الباي، تعطينا صورة عن نشأته والظروف التي تكونت فيها شخصيته، بالرغم من ندرة الوثائق التي يمكن أن تفي أو تلم بمختلف جوانب حياته النفسية والسلوكية. إذن، أسئلة كثيرة تدور حول تلك الشخصية: كيف نشأ الحاج أحمد باي؟ ما هي الظروف التي مرت بها طفولته؟ ما هو مستواه التعليمي والثقافي؟...الخ.

ولد الحاج احمد باي حوالي سنة 1784م وحسب رواية الدكتور بونا فونت فان الحاج احمد باي منذ ظهوره ببايلك قسنطينة بل منذ ميلاده، جعل الحزب التركي يتخوف من العواقب التي قد تنجم عن هذا الظهور، ولم يتجرا الأتراك في طلب الإذن بالتضحية به من قبل داي الجزائر غير أن والدته التي كانت متعلقة به أشد التعلق عندما علمت بالأمر، اخفت ابنها في جلد نمر، وحملته على كتفيها، ثم خرجت به من قسنطينة من باب القنطرة، حيث تمكنت من حمايته بعيدا الحقد الذي يكنه له اعداؤه، فاستقرت به ببلدها الاصلي الذي يبعد عن قسنطينة 50 ميلا أي بالصحراء بين احضان ابن قانه، هناك قامت بتربيته وسط القبائل، ولكن عندما بدا يدرك هذا الباي ما لحقه في حياته اصبح يكن منذ الساعة الاولى حقدا لا مثيل له لاعدائه الذين أرادوا التخلص منه بشراسة(1).

ان العناية بهدا الباي والاشراف عن نشأته وتكوينه، يرجع الفضل فيهما الى جده احمد باي(2) لذا كان الحاج أحمد رجلا حيويا ونشيطا، لكن يبدو ان حياته الطفولية الصعبة والمحفوفة بالمخاطر لم يحظ فيها بمتابعة تعليمه، غير ان حبه للدين الاسلامي يعكس لنا تاثره العميق بهذا الدين الحنيف في كتاباته. فقد عثرنا على قصيدتين دينيتين منسوبتين إليه(3) يستشف منهما ايمان الباي بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. كما ان أداءه لفريضة الحج وعلاقاته بالمشرق ومكوثه بمصر مدة طويلة قد اكسبته الكثير من المعارف والتجارب(4).

---

(1) Dr. Bonnafont, Réflexions sur l'Algérie ; particulièrement de la province de constantine. Paris, 1846, p. 56.

(2) Idem. p. 43.

(3) A.O.M. 1 (E), 7X7, deux poésies relgieusses attribuées à EL Hadj Ahmed Bey de constantine.

(4) L. CH. Féraud, op. cit. p. 60, voir aussi, A. Temimi, OP. cit., p. 9.

لقد بذل الحاج أحمد باي كل ما في وسعه لتقريب العلماء والكتاب اليه، واحاطة نفسه بهم لذلك نجد الكثير منهم حفظوا له في ذاكرتهم ذكرى طيبة بل ظلوا مناصرين له حتى بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة، من ذلك مثلا المفتيان محمد بن فتح الله والحاج مبارك صاحب كتاب حاضرة قسنطينة كما سنتعرض الى ذلك في حينه.

إن وصفا عاما لشخصية هذا الباي النفسية والسلوكية تبين لنا انه كان رجلا صارما وشديدا، يتمتع بذكاء ولكنه داهية وعزيز النفس(1)، لم يكن يعفو عن أي تجاوز يقع ببلاده الامر، الذي جعله قاسيا تجاه اعدائه بشكل غريب، في حين برز الباي احمد اكثر عطاء وكرما. كما بدا اكثر تحررا من سابقيه(2) حيث كان يوصف بالاداري العطوف(3).

وعن شكل هذا الباي الفيزيولوجي وقامته، فان الدكتوربونافرت يقدم لنا هذا الوصف: "لم تكن قامة الحاج احمد باي طويلة، بل كانت دون المتوسط، في حين كان يتمتع ببنية جسمية قوية، اسود العينين ولكنهما ضيقتين ذو لحية سوداء وغزيرة متدلية على صدره... يحب النساء والمال والخيول ..."(4).

ومهما يكن من امر، فان الحاج أحمد باي كان يتمتع بشخصية قوية بالقياس الى البايات الذين سبقوه في حكم بايلكه، حيث استطاع ان يثبت جدارته بالداخل والخارج، ويخضع القبائل الى ادارته، اذ "عرف كيف يبقى حتى سقوط الحكومة التركية، كما انه عرف كيف يكون لنفسه ثروات هائلة بفضل ارتباطه مع مختلف القبائل"(5).

---

(1) A.Temimi, OP.,cit., p . 61.
(2) A.O.M. 11H. ORIGINE DE LA TRIBU DES AMER CHERRAGA.
(3) A. Dournon, constantine sous les turcs d'après Salah EL-Antéri, in, R.S.A.C. 1928-1929 ; constantine, 1930, p, 114.
(4) de Bonnafont, OP. cit., PP. 56 – 57.
(5) حمدان خوجة، نفس المصدر، ص 173.

الفصل الثاني

الجهاز الاداري للباي وتنظيم الادارة

I - موظفو الباي.

II - التنظيم الاداري.

الواقع أن موضوع الادارة ببايلك الشرق الجزائري في عهد الحاج أحمد باي قد تناوله الأستاذ عبد الجليل التميمي في رسالته السابقة الذكر، لذلك يبدو من الاجدى الا نعود الى ما قد قيل سوى ذكر فقط بعض الاشارات الهامة التي تتعلق خاصة بتنظيم وسير الادارة وابراز جوانب أخرى منها لم يتم التطرق إليها.

اذن اسئلة كثيرة تطرح حول موضوع الادارة في عهد الحاج أحمد باي، كيف كان تنظيمها؟، بماذا اتسمت؟، هل حافظت على طابعها القديم، أم ادخلت عليها تحويرات في عهد هذا الباي؟...الخ

قبل كل شيء، تجدر الاشارة الى ان ما يميز الادارة ببايلك قسنطينة اثناء حكم الاتراك وحتى في فترة الاحتلال الفرنسي، انها حافظت على طابعها الخاص والفريد بالقياس الى بايلكي الغرب والتطيري، ذلك ان بايلك الشرق الذي ظل يطغى عليه نفوذ الاسر الكبيرة، ما فتيء يشكل عراقيل جمة سواء بالنسبة للحكام الاتراك أو للضباط الفرنسيين في عهد الاحتلال خاصة فيما يتعلق بالسيطرة عليه واستغلاله استغلالا كاملا لذا كانت الادارة تسير وفق تلك المعطيات والشروط الخاصة كما سنتبين ذلك في حينه.

بايلك قسنطينة:

من الصعب جدا اعطاء تحديد جغرافي لبايلك الشرق الجزائري اثناء فترة الاتراك، انما نستطيع ان نعطي وصفا تقريبيا له حيث كان يمتد في سنة 1837م ابتداء من ابواب الجزائر العاصمة، الى غاية المملكة التونسية، في حين لم تكن له حدود مضبوطة من الشمال أو الجنوب سوى البحر المتوسط أو الصحراء.(1)

يضم هذا البايلك داخل حوزته مجموعة من العائلات الكبرى التي تحظى بنفوذ قوي بالمنطقة، من ذلك مثلا: عائلة اولاد مقران بمدجانه، التي تمتد مساحتها ما بين قيادة فرجيوة بالشرق، وقيادة شيخ العرب بالجنوب.

---

(1) A.O.M. 8H3, organisation militaire de l’oudjak d’Alger, voir aussi, T.E.F.année 1840, p. 313.

كما كان يشمل قيادة عائلة ابن قانة التي تمتد من مناطق الزيبان الزاب الظهري، الزاب القبلي والشرقي، قبيلة النمامشة، الغرابة، العرب الرحل، الشراقة، والغرابة بقيادة اولاد جلال، سيدي خالد، اولاد زكري، وكل صحاري منطقة الحضنة، اما عائلة بوعكاز بن عاشور، فقد كانت تحتل منطقة كبيرة من بلاد القبائل الصغرى، التي تتميز بتضاريسها الوعرة واشجارها الملتفة، كما تشمل هذه القيادة داخل حوزتها قيادة فرجيوة والبابورالتي تتمركز بها قبائل هامة كبني مساعد بني فوقال جميلة...الخ. اما عائلة ابن عز الدين بمنطقة الزوارة، فقد كانت تحظى بتاييد قبائل كثيرة، كبني عيدون بني خطاب بني فتاح...الخ(1).

وهكذا فان شساعة بايلك قسنطينة وأهمية العائلات الكبرى التي تقطنه تبين لنا ان الاطار الجغرافي الذي كان يمارس فيه الباي احمد سياسته الداخلية لم يكن بالامر السهل من حيث ادارة القبائل أو اخضاعها لحكمه.

الجهاز الاداري للباي:

I - موظفو البـــاي:

ان ادارة الحاج احمد التي كانت تتدرج من حيث الوظائف الهامة نجدها تشتمل على الموظفين التاليين: يتولى من بعد الباي الخليفة ثم قايد الدار، الآغا، باش سراج، باش حامبه، باش موكحلي، باش كاتب شاوش الصباحية، شاوش مسيلة، شاوش بسكرة، قايد اللحوم، قايد البارود، آغا المسيلة، آغا الصباحية، الخزندار، قايد المقصورة...الخ(2).

ياتي من بعد الباي، في المرتبة الاولى الخليفة، الذي كان يحظى بنفس الاعتبار الذي يحظى به الباي في جولاته الخارجية، كانت تخرج معه فرقة

---

(1) S.Ferkous, occupation et résistance … op. cit. voir, pp 130-131
(2) A.O.M. 8H3 , Organisation du Makhzen turc dans la province de constantine, voir aussi E vaysettes, Histoire de Constantine sous la domination turc de 1517 à 1837, challomel, 1869, p. 118-119.

موسيقية تحمل الاعلام وحاشية تتكون من الشخصيات المعتبرة، فقد كان على سبيل المثال، آغا الدايرة الذي كان اول قائد للخليفة يراس قبائل الدايرة، حيث كان يرافقه عند ذهابه الى الجزائر العاصمة لدفع الدنوش، واستخلاص الضرائب من القبائل، أو تاديب المتمردة منها، كانت ترافق الخليفة ايضا فرسان من الدواير التي تتمركز بأراضي العزل التي تحيط بقسنطينة، حيث ينضم اليها بعض فرسان بني عيشة، السراوية، بني نشامية بضواحي سكيكدة، عبد النور التلاغمة، قبائل الزمور، الزناتية، وتملوكة التابعة لقائد الحراكته التي كانت تشكل بأتم معنى الكلمة دائرة.(1)

وقد كانت وظيفة قايد الدار الى جانب وضيفة الخليفة، من اهم الوظائف بالبايلك فقد كان يتولى ادارة مدينة قسنطينة عند غياب الباي.كما كان يبت في الخلافات أو الخصومات التي تحدث. وكانت اراضي العزل ايضا تحت تصرفه، وتخضع شرطة المدينة لأوامره، التي تتشكل من اربع مجموعات كل مجموعة تضم ستين رجلا، تم استيعابهم من سكان المدينة، يتولى رئاستها قائدان، في حين يشرف على تنظيمها قائد القصبة الذي كان ايضا قائدا لتلك المجموعات، حيث يسهر على الامن العام يساعده في ذلك خوجة الخيل الذي يقوم بدوريات امنية في الليل(2).

اما الوظيفة الاخرى البارزة في الجهاز الاداري للباي أحمد، فهي وظيفة الآغا الذي كان يرأس قبائل وادي بوصلاح، السراية، الزناتية، اولاد عبيد، والمخزن البلدي، الذي يتكون من الفرسان القاطنين بمدينة قسنطينة.كما يخضع ايضا لسلطته كاتب باش شاوش، الذي كان يوجد تحت اوامره ثلاثون شاوشا. اما بالنسبة لقيادة الدائرة، فكان يوجد بينه وبين الفرسان وسطاء من كبار الدايرة. لم تكن تلك الدايرة تتقاضى راتبا شهريا، وانما كانت تدفع نصف الضريبة حوالي 15 فرنكا في السنة. وعندما ينقل فرسانها الرسائل من مكان الى اخر، فانهم ياخدون مقابل أتعابهم 8 فرنكات. كما أنه أثناء الغزوات ياخدون ثلث الغنيمة من المواشي. أما الغنائم فقد كانت تعود الى البايلك.(3)

---

(1) A.O.M.8H3, Organisation militaire de l'oudjak d'Alger.
(2) Idem.
(3) Idem.

كان الآغا يحظى بامتيازات عدة ذلك أن الدائرة اضافة الى ما تضمه من القبائل السابقة الذكر، تمتد الى أولاد دهان، اولاد داوور، بني ودجان، اولاد بوعافية، التي كانت تزرع للآغا من أهم الزويجة بالاضافة الى ما يظفر عليه كل سنة من برنوس التعيين الذي يغتنمه للحصول على ضريبة اضافية يطلق عليها ضريبة الفرحة التي لم تكن تقل عن دورو واحد للخيمة الواحدة(1).

أما الوظائف الأخرى، فقد كانت تتفاوت من حيث الاهمية، نذكر على سبيل المثال، ان وظيفة باش موكحلي حظيت باهتمام في الجهاز الاداري للباي حيث كان يتولى قيادة عشرة موكحلية، ويسير هذا الموظف امام خليفة الباي يحمل السيف بيده، ثم باش علام يحمل راية خضراء أو حمراء للخليفة الذي يتبعه رجلان يحملان رايتين اصغر من الاولى، الى جانبهما يوجد آغا الصبايحية، وآغا ادواير وباش خزناجي(2).

II – التنظيم الاداري:

وعن التنظيم الاداري لبايلك الشرق الجزائري، فاننا نجد العنصر الاول والاساسي في تلك الادارة يسمى مشيخة، في حين كان يطلق عليه بالجهات الاخرى من الوطن قيادة. يتكون هذا العنصرالاداري من عدد من الدواير، غير ان مجموعة من المشايخ ببايلك الشرق كانت تشكل قيادة، اما بالجهات الاخرى من البلاد كانت تؤلف مجموعة من القيادات آغاليك، لكن سلطة القيـــادة من حيث النفـوذ ببايلك قسنطينـة، تضـاهي سلطة الآغاليـك، ان لم نقل تتجاوز تلك التي كان يمارسها الآغوات أو الباش آغوات ببايلكي الغرب، من ذلك مثلا، قيادة اولاد سلطان بالاوراس، والحراكته بعين البيضاء، أو الحنانشة بضواحي سوق اهراس... الخ.(3)

(1) Idem.
(2) A.O.M. 8H3, Organisation du makhzen turc dans la province de constantine.
(3) A.O.M. 1H9, Affaires Arabes. Bureau politique, Alger le 20 novembre 1852, lettres du gouverneur général au ministre de la guerre.

حرص الحاج أحمد باي بعد تعيينه من طرف الداي حسين بايا علي بايلك قسنطينة، على تنظيم بايلكه يساعده في ذلك- كما يذكر الشريف الزهار يحيى آ غا الجزائر(1)، حيث عملا معا على اخضاع القبائل المتمردة وتنظيمها، كما قاما بتغيير القيادة والشيوخ وترتيب العمال(2)، ذلك ان الادارة التركية ببايلك الشرق كانت قبل مجيء الحاج احمد باي تتسم بعدم الاستقرار، اذ تعاقب عليها الكثير من البايات كما كانت تتسم بطابع الارتجالية في الامور، والكثير من التجاوزات، هذا الى جانب غياب الامن في مختلف ربوع البايلك لكن في عهد الباي احمد عرفت الادارة الاستقرار الى حد كبير، فاخضع معظم القبائل الكبرى الى حكمه، واعاد تنظيمها الاداري، من ذلك قبيلة اولاد عبد النور- القبيلة المعروفة ببايلك قسنطينة من حيث كبرها واتساع مجموعات افرادها- كانت قبل وصول الحاج احمد باي الى الحكم يديرها ثلاثة شيوخ، لانها كانت مقسمة الى ثلاثة اقسام كبيرة، الشراقة، الغرابة، الوساطة، حيث تم ادخال تحوير اداري عليها من طرف الباي، بعد ان اخضعها لسلطته فاسند قيادتها الى قائد واحد فقط يطلق عليه سليمان(3).

هذا وقد قام الحاج أحمد باستدعاء رؤساء كل قبائل البايلك، واجتمع بهم بالجامع الكبير بقسنطينة، بحضور شيخ الاسلام، فقام بتعيين الشيوخ وتوليتهم على قبائلهم، حيث عاهدوه على استمرارهم في اخلاصهم له والمحافظة على الامن والاستقرار بداخل ربوع البايلك، وعندما رجع هؤلاء الى قبائلهم شكروا للباي حسن الضيافة التي خصهم بها، وكذا الهدايا التي قدمها لهم(4).

ومن بين القبائل التي أعيد أيضا تنظيمها اداريا اثر هذا الاجتماع، قبيلة العلمة مصالح التي تم تنظيمها في شكل قبيلة مخزن، يديرها مباشرة شيخ تم اختياره من طرف افراد تلك القبيلة تحت اوامر باش كاتب البـاي،

(1) يذكر الشريف الزهار أن يحيى آغا، عندما رجع إلي الجزائر و اجتمع بالداي حسين ليقدم له تقريرا عما فعله مع الباي احمد من اجل إقرار الأمن بالبايلك، انه انفق ما عنده على المحله. أما جملة ما جمعه من المال فقد تركه للباي الذي – حسب الآغا – لم يقدم له أية مساعدة. اغتاظ الداي لذلك فكتب يلومه على تقصيره هذا تجاه الآغا وعندما التقى الباي أحمد بالداي، أثناء تقديم الدنوش، أكد له افتراءات الآغا، حيث كشف له بالدليل عن كل ما كان يتقاضاه من مصاريف المحله, و انتهى الأمر بعزل يحيا آغا ونفيه بالبليدة ثم قتله في النهاية. انظر الشريف الزهار, نفس المصدر ص 162-163.

(2) نفس المصدر ص 160

(3) A.O.M. 1H4 Année 1844 ouled Abdel nour.

(4) A.O.M.1H11, origine et historiquc de la tribu des o Abdel nour.

حيث ساعدت تلك القبيلة كثيرا حكومة الباي في اقرار الامن ببلاد القبائل الصغرى(1)، كما عزز نفوذه بمنطقة وادي الصفصاف الاعلى بضواحي قسنطينة، التي كان يشرف على ادارتها الاتراك بشكل مستمر، حيث اصبح يتولى آغا الباي شؤونها، يوجد تحت اوامره شيخان يتقاسمان ادارة القبائل بالمنطقة، واحد يتولى ادارة العرب القبالة، والآخر العرب الظهارة(2)، كما اسند ايضا ادارة قبيلة الحركاته التي كانت من اهم القبائل بالبايلك الى ابن تبناه هذا الباي وهو الحاج حسين الذي أخذ لقب قائد العواسي، الذي كان إضفاؤه لا يعطى إلا لأحد افراد عائلة الباي الحاكمة(3).

كانت سلطة الشيوخ عسكرية وادارية في آن واحد، كما كانت - في غالب الاحيان- وراثية، ولم يكن تاثير بايات قسنطينة يصل الى تلك القيادات الكبرى، لذا كان هؤلاء البايات يتركون حرية التصرف لرؤساء الاهالي، خاصة منهم المخلصين لهم. اما الحاج احمد باي فقد عمل على تقريب القبائل الكبرى اليه عن طريق اقامة اواصر عائلية بينه وبينها، كعائلة ابن قانه بالصحراء، واولاد مقران بمدجانة، أو بوعكاز بن عاشور بفرجيوة، أو ابن عز الدين بمنطقة الزواوة.(4)

هذا واثر اعتلائه منصب الباي، قام الحاج احمد بعزل شيخ مدينة عنابة(5) من منصبه كشيخ للبلاد، واسند ادارة هذا المنصب الهام الى السيد ابراهيم الباي السابق لبايلك قسنطينة، غير ان هذا التعيين قد جعل من الاتراك يحتجون... فلجاوا الى القصبة بمدينة عنابة، واقاموا بها، اما ابراهيم باي فقد عرف كيف يثير فتنة داخل الثكنة بالمدينة ويسيطر عليها بقوة.

---

(1) A.O.M. 10H11, origine et historique de la tribu Eulma messalah.
(2) A.O.M. 10H11, origine et atrubu de la tribu des attina
(3)A.O.M. 8H3 M, historique de cercle d'aain-beida, 1852.
(4) M, Emérit, l'algerie à l'époque d'abdel-kader. parie, 1951, p. 238.
(5) شيخ البلاد بمثابة رئيس البلدية, مكلف بمصالح البلاد و الأمن و كان يوجد تحت سلطته بعض من الموظفين يتولون مهمة المراقبة بالنسبة لجماعات الحرفيين التي كان يوجد على راس كل مجموعة منها أمين نقابي, انظر:
E.Mercier, Histoire de Constantine. CNE. 1903, p, 440.

هذه الأحداث التي تناقلت أخبارها القبائل حتى سمع بها الباي أحمد، قد تركت في نفسيته حزنا شديدا، وقلقا كبيرا، ولم يتوان لحظة في الاعلان عن عزل الباي ابراهيم، وارسال قوة عسكرية تحت قيادة الحاج عمار بن زقوطة لمحاربته، اذ حاصر مدينة عنابة لمدة ثلاثة شهور، ولكن بدون جدوى، مما دفع بالباي احمد الى تغيير ابن زقوطة بسيدي علي بن عيسى الذي استطاع ان يؤلب السكان ضد ابراهيم ويتمكن في النهاية من الدخول الى المدينة(1).

كانت هناك عداوة قديمة ما بين ابن زقوطة وبن عيسى الذي عينه الحاج احمد كباش حامية للقواة العسكرية التي جهزها لاخضاع المتمردين من الاتراك بمدينة عنابة بعد القضاء على ابراهيم باي. كان ابن عيسى قد سجن ابن زقوطة دون اذن من الباي، وتعود اسباب تلك العداوة القديمة بينهما الى ايام الداي حسين الذي طلب - آنذاك – من الباي احمد كي يعين له شخصا من قسنطينة يكون ذا ثقافة وتاثير ليسند اليه منصب سفير بتونس. كان الحاج احمد باي قد عين- اولا- ابن عيسى، ولكن بعض الموظفين من حاشيته قد نصحوه بان ابن عيسى لا يليق لهذا المنصب وينبغي ان يختار شخصا مارس السياسة، وهكذا وقع اختيار الباي على الحاج عمار بن زقوطة، حيث ارسله الى داي الجزائر . ومنذ ذلك الوقت تكونت تلك العداوة بين ابن زقوطة وابن عيسى(2).

كما بدا الحاج احمد باي يعمل للحصول على موافقة الداي كي يتخلص من الانكشاريين الذين كانوا يكنون له العداء ويقيمون العقبات من اجل اخضاع الرعية.(3)

هذا وتجدر الاشارة أن مسؤولية الباي أحمد تجاه الداي حسين لا تكاد تختلف عن تلك التي كان يلتزم بها البايات الآخرون من الوطن، باي الغرب، وباي التيطري، وهي واجب كل واحد الالتزام بتقديم الضرائب التقليدية للداي التي كانت تسمى – انذاك بـ: الدنوش، ونحن لا نريد الدخول

(1) Dr Bonnafont, op. cit. pp, 57-58.
(2) A, Dournon, op. cit. pp. 119-120.
(3) A.Temimi, op. cit. p. 61.

الدخول في تفاصيل هذا الدنوش الذي أصبح معروفا(1)، ولكن نشير أن اهمية هذا الدنوش وحجم مواده العينية والنقدية كانت معتبرة، ذلك أن الحاج احمد باي كان يدنش مرة كل ثلاث سنوات، في حين كان يرسل بخليفته مرتين في السنة، الاولى في فصل الربيع، والثانية في فصل الخريف، فعندما يذهب هذا الخليفة ليدنش، كان يحمل معه موادا كثيرة مختلفة حوالي 40.000 بوجو دون تعداد الاشياء الاخرى التقليدية، خاصة الهدايا التي تقدم الى الشخصيات السامية في لوجاك.(2)

اثر احتلال الجزائر العاصمة وسقوط حكومة الداي حسين، نصب الحاج احمد باي نفسه الخليفة الشرعي للسلطة التركية، والممثل الوحيد للإمبراطورية العثمانية بالايالة، كما أصبح يتلقب باسم الباشا وأعاد تنظيم الادارة بإلغاء النظام العثماني الذي لم يعد له أي مفعول شرعي في حين اخذت اللغة العربية المكانة الاولى بالبايلك، وقام باستحداث مناصب جديدة حسب المقتضيات الادارية، وصار يعتبر ايالة الجزائر العاصمة اقليما عربيا أو اقليم العرب، ولكنها مرتبطة بالامبراطورية العثمانية بروابط روحية ودينية(3) هذا وبعد ان استتب له الامر صك الدراهم باسمه(4).

ومهما يكن من امر فان ادارة الحاج احمد باي قد تميزت بالجدية والعدالة الى حد كبير، حيث تجسدت آثار ذلك في تنظيم بايلكه وحسن تسيير شؤونه، ولم تكن الرعية في عهده تتعرض الى اضطهاد أو ظلم، يشهد على ذلك ما كتبته جمعية العلماء بصحيفة الميدان بتاريخ 17 اكتوبر سنة 1937م(5)، قائلة "ان ادارة الحاج احمد باي قد ارتكزت على أساس العمل الخيري وحسن الاعتبار والسلطة وكذا شرف الايمان، فكانت الرعية تحظى في ظل ادارته بالعيش والطمانينة...، بل لم تكن تتعرض اثناء حكم هذا الباي الى حرمان أو بؤس أو خذلان أو احتقار"، ومما يؤكد ذلك ايضا ان سكان مدينة قسنطينة بعد احتلال مدينة الجزائر العاصمة اقروا بضرورة الابقاء على الحاج احمد باي عليهم نظرا للارتياح الذي شعروا به اتجاه ادارته وقراراته العادلة(6).

(1) M. Gaïd, op. cit. p, 91, voir aussi A. Temimi, op. cit. p .53.
(2) A.O.M. 8H3, Organisation militaire de l'oudjak d'alger.
(3) A. Temimi, op, cit, p.63
(4) A.Dournin, op. cit. p. 116.
(5) A.O.M. ; 11H49 ; EL-MIDEN, du 17 octobre 1937.
(6) A. Dournon, op. cit. p. 113.

الفصل الثالث

I - التنظيم الجبائي والقضائي.
II - قوات الباي العسكرية.

I - النظام الجبائي والقضائي:

الضريبة:

الواقع ان الضريبة التي كان يستخلصها بايات قسنطينة كانت ضئيلة، ولم تكن تتجاوز 2% من مدخولات البايلك(1)، هذا بالرغم من ان النظام الجبائي تحت الادارة التركية كان معقدا، فلقد ذهب عبد الجليل التميمي الى ان الحاج احمد باي قد ابقى فقط عن العشور الذي هو ضريبة عينية(2)، لكننا عثرنا من خلال وثائق اخرى ان ما استحدثه الباي في هذا المجال هو اعادة تنظيم الحكر والعشور(3) على اسس جديدة مباشرة اثر احتلال الجزائر العاصمة، ولم يحدث انه الغى الحكر(4) بالاضافة الى الابقاء على ضريبة اللزمة غير انه يستثني من ذلك الامتيازات التي تحظى بها القبائل والعائلات الكبرى كما سنتعرض الى ذلك في حينه.

كان سكان اراضي العزل يدفعون ضريبة الحكر التي كانت تقدر – قبل تولي الحاج احمد باي الحكم – ب 32.50 فرنك للمحراث الواحد، حيث رفعها هذا الباي الى 35 فرنك، في حين ان العشور الذي كان يستخلص عينا يقدر بصاع واحد من القمح، وآخر من الشعير، وشبكة من التبن. هناك بعض القبائل التي كانت تخضع الى جانب تلك الضرائب الى العلفة التي تقدر بحوالي 8 صاع من الشعير وخروفين، هذا عندما تحل بها محلة الباي، انما تجدر الاشارة الى ان الافراد الذين يحملون السلاح أو كانوا فرسانا في خدمة الباي وينتمون الى المخزن، يدفعون بالنسبة للحكر 16,25 فرنكا فقط للمحراث الواحد، لكن العشور فقد كان ثابتا(5)، ومن بين القبائل التي كانت تخضع لتلك الضرائب نذكر على سبيل المثال: قبيلة اولاد عارم(6)، واولاد الزناتي(7)، وسكان اراضي مسيدة(8).

---

(1)A.O.M.1H4, constantine, le 16 août 1839, rapport du général Galbois.
(2)A.Temimi, op.cit ; voir, pp. 66-67.
(3) الحكر كان يستخلص نقدا في حين أن العشور كان عينا.
(4) A.O.M., 8H3, Historique des tribus du cercle de constantine, 1845, voir aussi, A.O.M., 10H11, Historique des Azels.
(5) A.O.M. 10H11, Historique de la tribu de Mecila.
(6) A.O.M. 10H11, Historique de la tribu des o. arema.
(7) A.O.M. 10H11, Historique de la tribu zenatia.
(8) A.O.M. 10H11, Historique de la tribu de Mccida.

وهناك بعض القبائل التي كانت تدفع الى جانب ضريبة العشور ضريبة اللزمة، حيث قدرت بالنسبة لاولاد قووان سنويا ب: 150ريال أي حوالي 300 فرنكا، اما بالنسبة لقبيلة عامر الشراقة فكانت تقدر بحوالي 1500 فرنك في كل ستة اشهر(1)، توجد ايضا ضريبة اخرى هي ضريبة الجبرية التي كانت تعادل تقريبا ضريبة العشور، ولكنها لم تكن تعتمد على نفس الاسس وتتغير كل سنة، فقد كان قائد الجبري مكلفا باستخلاصها وتحديدها حيث كانت القبيلة تدفع 24 صاعا من القمح و 24 صاعا من الشعير للجبدة، وفي بعض القبائل الاخرى تقدر ب 12 صاعا لم تكن هذه الارقام ثابتة وانما كانت تتوقف على الباي(2)، نذكر على سبيل المثال ان اراضي اولاد شاطر التي تعد اراضي عزل قد تم اقطاعها الى الاعيان أو الشخصيات ذات النفوذ ببلاط البايات مقابل تقديم ضريبة الجبري، حيث اصبح هؤلاء اصحاب تلك الاراضي فيما بعد بدون منازع. ولكن الضريبة كانت تختلف حسب قيمة واتساع الارض المقطوعة، غير أننا نقرأ في وثائق اخرى انها لم تكن تقل ابدا عن 25 صاع من القمح(3) و 50 صاع من الشعير(4) بالاضافة الى ذلك توجد – قبل تولي الباي احمد – ضرائب اخرى نذكر على سبيل المثال ان اراضي عزل دار الوادي لم يتم كراؤها ابدا، وانما كانت تقطع لبعض الاشخاص هي عبارة عن ارض عرش، اذ كان سكانها معفيين من ضرايبة الحكر، ولكنهم كانوا مطالبين بتقديم العشور وضريبة العلف ودفع المشاتمة، وهي نوع من الضريبة تقتضي شراء الحيوانات التي غنمت في الغزوات الاجبارية، كما رتبت عليها ايضا ضريبتان كل سنة الاولى يطلق عليها "صافية"، والثانية عرفية، اللتان تصل قيمة كل واحدة منهما الى 500 فرنك، ولكن بعد وصول الحاج احمد باي الحكم اخضع هذه البلاد الى نفس النظام الجبائي المطبق على اراضي المخزن، حيث اصبحت هذه الاراضي بايلكية(5) كما ضما ايضا اراضي اولاد عارم-الذين كانوا يشكلون في القديم قبيلة متميزة ويدفعون ضريبة الحكروالعشور والزكاة – الى البايلك(6).

---

(1) A.O.M. 10H11, origine et Historique de la tribu des Amer-cherraga.
(2) A.O.M. 8H3, Historique des tribus du cercle de constantine, 1854.
(3) A.O.M. 10H11, Historique de tribu des O.Serraouia, Ain-Beida, Bled ben Bâala…
(4) A.O.M. H11, Historique de la tribu des O.Arema.
(5) A.O.M. 10H11, Historique de la tribu de Bou-ksaiba ; Dar el-oued.
(6) A.O.M. 10H11, Historique de la tribu des O.Arema.

أما قبائل المخزن فكانت تدفع نصف ضريبة الحكر المفروضة على القبائل الاخرى الى قائد الدار، نظرا لانها تنتمي الى المخزن وهذه الضريبة تقدر بحوالي 16,25 فرنك للمحراث، كما سبقت الاشارة الى ذلك مقابل ما تقدمه تلك القبائل من خدمات الى البايلك كمشاركتها مثلا في الحملات الموجهة ضد القبائل المتمردة، هذا الى جانب انها كانت تدفع ضريبة العشور(1)، من ذلك مثلا، قبيلة الموية التي تنحدر اصلا من الصحراء والتي استقرت بوادي اسمندو اصبحت تشكل جزءا من مخزن الباي، ولم يكن افرادها يتقاضون راتبا وانما كانوا ياخذون لحسابهم 1/10 تقريبا من الضرائب والغرائم التي يقومون باستخلاصها من طرف القبائل(2)، اما قبيلة اولاد علوين فكانت تدفع للباي ضريبة قيمتها 10 فرنكا كل سنتين مقابل ذلك كانت تشارك الباي في حملاته(3) كما كان بعض رؤساء القبائل معفين من دفع الضريبة من ذلك مثلا رئيس عائلة اولاد الزناتي في حين أن عناصر العائلة تدفع الحكر مقابل ما تقدمه من خدمات الى الباي ولكن هذا الحكر كان اقل مما تدفعه القبائل الاخرى اذ يقدر – انذاك – بقيمة 7,50فرنك عوضا عن 12,50 فرنك ولم تكن القبيلة تخضع كذلك الى العشور.(4)

بالنسبة للقبائل التي لم يكن يمارس عليها البايات تاثيرهم المباشر لم يستطيعوا ان يجبروها – دوما –على دفع الضريبة بانتظام(5)، لذلك كان اللجوء الى المحلة كوسيلة فعالة لاستخلاصها من ذلك أن الحاج أحمد باي كان يمد – في السنوات الاخيرة من حكومته – عائلة اولاد مقران بمدجانة ب 15خيمة من الانكشاريين لهذا الغرض، ذلك ان قبيلتي بني العباس وعباد كانتا تمتنعان عن دفع الضريبة(6) لذا فان استخلاص الضريبة بمشيخة المقراني لم تكن بالامر الهين سواء في الفترة التركية أو الفرنسية، اما قيمة الضريبة المستخلصة بتلك القيادة فلم تكن – حسب ما يذكر فيرو –

(1) A.O.M. 10H11, Historique de la tribu des Serraouia.
(2) A.O.M., 10H11, historique de la tribu des Beni-hameiden.
(3) A.O.M. 10H11, Historique des Azels.
(4) .AO.M. 10H11. Historique de la tribu zenatia.
(5) A.O.M. 10 KK30, Rapport de 10 juin 1952(N° 10),
(6) L.CH . Féraud, histoire des villes de la province de Constantine, Sétif, Bordj Bou arreridj, Messile et Boussaâda, R.S.A.C., 1871-1872, p.313.

تتجاوزسبع مائة ألف فرنك(1)، في حين ذكرالضابط الفرنسي "رن" في كتابة (ثورة 1871) ان قيمة تلك الضريبة تقدر ب 50.000 فرنك تستخلص من القبائل الواقعة مابين وادي الساحل والحضنة(2)، ومع ذلك فان هذه الضريبة كانت ضئيلة جدا بالقياس إلى التى كانت تؤخذ قهرا وعدوانا في الفترة الاستعمارية(3)

اما القبائل الصحراوية التي كانت تشرف عليها عائلة ابن قانة، لم تكن ايضا تتم فيها بسهولة استخلاص الضريبة، بل كان شيخ العرب الذي يشرف على قيادة القبائل الزيبان تاتيه -غالبا- قوات عسكرية من البايلك لمساعدته قصد اداء هذه المهمة(4)، فاثناء فترة حكم الحاج احمد كان سكان منطقة الزيبان يدفعون للباي - حسب تقديرات ضباط المكاتب العربية - 10.526 فرنكا 252 صاعا من القمح، 1.200 كيلا من الزيوت، 1.200 قطعة من الصابون، 1.200 كيلا من الدهون، أي ما يقدرمجموعة بالقيمة النقدية 17.760 فرنك(5)، ولكن اثر احتلال مدينة بسكرة من العدو الفرنسي لاحظ هؤلاء الضباط ان هذه الضريبة قليلة جدا بالقياس الى ثروات البلاد اذ ان الرائد سانت جرمان وبوعزيز بن قانه تمكنا من استخلاص علم 1845م ما قيمته نقدا 114.463,50 فرنكا(6)، وهو ما يبين لنا بوضوح ان الضريبة في العهد الاستعماري كانت اضعافا مضاعفة اذا ما قورنت بالتي كانت تؤخذ في العهد التركي.

اما مشيخة فرجيوة التي كان يديرها بوعكاز بن عاشور فان الضريبة التي كان يدفعها هذا الشيخ الى الحاج احمد باي لم تكن تتجاوز اربعين الف فرنك، وهذه الضريبة كانت تسمى ضريبة اللزمة(7).

---

(1) Idem, p.195.
(2) L. Rinn, histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Alger. 1891, p.15.
(3) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر رسالتنا : <Occupation et résistance.>PP.33.3
(4) A.O.M., 10 H 11, Historique de cercle de Biskra par le lieutenant Dubosquet. chef du Bureau arabe de cette localité, Biskra le 31 décembre 1848.
(5) A.O.M., 10 H 18, Renseignements statistiques sur Biskra (1848).
(6) A.O.M., 1KK 3, Rapport du 19 janvier 1845(N°3).
(7) A.O.M., F 80, 1822, Résumé des recherches sur l'impôt par le Dr.Warnier (1841)

وهكذا يمكن القول ان الضريبة في عهد الحاج احمد باي قد ارتكزت الى حد كبير على قواعد ثابتة لم نلحظ من خلالها تجاوزات القائمين عليها من اعوان الباي كما كان يحدث في السابق، بل ان قيمة الضريبة المستخلصة كانت الى جانب انها ضئيلة توجه لخدمة مصالح البايلك والايالة بشكل عام.

القضـــاء:

تعتبر السلطة القضائية في بايلك الشرق الجزائري صورة مصغرة للسلطة القضائية في الايالة ونفس الشيء بالنسبة لبايلك الغرب الجزائري، فلم تكن هذه السلطة محصورة فقط بين يدي القضاة انما كان يشاركهم فيها كذلك كبار الموظفين وصغارهم، فكانوا مفوضين للنظر في عدد من القضايا، هذا وقد كان البايات يقضون جزءا من يومهم في الفصل في القضايا التي كانت ترفع اليهم(1).

اما السلطة التشريعية فقد كانت ذات نظام واحد في كامل القطر، اذ كانت مكونة من محكمتين يشرف عليهما قاضيان ومفتيان على المذهب الحنفي، وهذه السلطة تنظر في القضايا الاجرامية والتاديبية والجنائية والمدنية والحكومية، كما كانت تنظر في الخلافات التي تقع، فكانت الاحكام التي تصدرها لا رجعة فيها(2)، وهذه السلطة التي يطلق عليها – دي بارادي – ب المجلس الشريف يمكن لها ان ترفض الأحكام التي يصدرها القاضي اذ باستطاعتها استئناف النظر من جديد في تلك الاحكام(3)، كان يتولى هذا القضاء اثناء فترة حكم الحاج احمد سي الحاج مبارك الذي كان مفتيا مالكيا في حين كان يتولى وظيفة المفتي الحنفي السيد ابن فتح الله السابقين الذكر.

لا شك ان تمسك الباي أحمد بالدين الاسلامي وإيمانه الراسخ بهذا الدين جعله يتاثر كثيرا في اصدار احكامه وفق تعاليم الشريعة الاسلامية فكان رجلا عادلا(4) تميزت ادارته الى حد كبير بالجدية والعدالة.(5)

---

(1) العيد مسعود سعيد, المجتمع الجزائري في ظل الحكم العثماني – رسالة لم تنشر –ص 124
(2) حمدان خوجة, نفس المصدر, ص 110.

(3) V.de Paradis, op. cit. pp, 11.157.
(4) A, Temimi, op. cit. voir p .61.
(5) A.O.M., 11H49, Note sur la situation politique…op, cit.

ومما يؤكد ذلك المراة مثلا كانت تحظى في عهده بحق الارث ولا يؤخذ حقها في الارث كرها(1) هذا وقد عثرنا على وثيقة في غاية الاهمية تبين اهتمام الباي بهذا الجهازالحساس والحكم بما أنزل الله.(2)

II - قوات الباي العسكرية:

كانت القوات العسكرية في فترة الحاج احمد باي تتكون من المشاة المرتبة تحت قيادة الخليفة، ومن الفرسان أو قوم المخزن، هذه القوة الاخيرة أو الخيالة، كانت تتكون من قسمين متمايزين: القسم الاول يخضع مباشرة للآغا ويتكون من القبائل التالية: الزناتية اولاد زناتي السراوية، عرب وادي بوصلاح، وفرسان المدينة، أما القسم الثاني فكان ايضا تحت قيادة الآغا، ولكن يديره كوسيط القياد أو الاعيان وهذا القسم كان يتكون من التلاغمة(3) واولاد عبد النور، كان القسم الاول والثاني يطلق عليهما كالتالي: الظهايرية والزمالة، اما الظهايرية فلم يكن لها قياد بل كان يحكمها مباشرة الآغا وهذا الاخير كان يكلف شخصا أو اشخاصا للسهر على امن القبائل داخليا، وتنفيذ اوامره، وقد كانت تلك القبائل - دوما - على اهبة الاستعداد فهي تمثل القوة العسكرية الملتزمة، في حين ان عرب الزمالة تعتبر القوة الاحتياطية، كان هؤلاء ياتمرون باوامرالآغا عندما تكون هناك تجمعات حربية، ولكن قيادهم يتم تعيينهم من طرف البايات ولا يقع تجمعهم الا بامره، اما فرقة المشاة التابعة للباي فكانت - تقريبا - مخصصة لحراسة المدينة أو لحمايته وهو يجوب الشوارع، وهكذا يمكن القول ان كل قوات المقاطعة العسكرية كانت تعتمد خاصة على الدواير وقبائل الزمالة(4).

كما كانت العائلات الكبرى القسنطينية تمد الحاج احمد باي بالقوات العسكرية غير نظامية من ذلك مثلا: قبيلة زمور بمدجانة التي كانت تمد الباي 1.50 فارسا وتمده أيضا بحوالي الف رجل من المشاة في حالة الحرب، يوجد بارض تلك القبيلة برج مراقبة به حامية الباي مـزودة بعشرة

---

(1) A.O.M., 10 H 11, Historique de la tribu zenatia.

(2) أنظر الملحق (وثيقة رقم 1 مكرر).

(3) إن قبيلة التلاغمة التي خضعت لحكم الباي احمد, كانت لها تقاليد عسكرية أكثر منها فلاحية, كما كانت تميل كثيرا إلى تقاليد المخزن.

(4) A.O.M., 8H 3Historique des tribus du cercle de constantine 1854.

مدافع وب 150 جندي، ولم يكن البرج الوحيد بالمنطقة بل كانت هناك ابراج أو حاميات اخرى بسطيف مدجانة برج بوعريريج...الخ(1)

عمل الحاج احمد باي على اعادة تشكيل جيش منظم اثر احتلال الجزائر العاصمة، حيث اعتنى بتدريبه على خوض الحرب، ثم اعاد ايضا ترميم اسوار المدينة وعين مواقع المدافع(2) لانه كان يدرك ان المستعمر الفرنسي سوف يشن حملاته العدوانية على مدينة قسنطينة للاستيلاء عليها.

كان نشاط القوات العسكرية البايلكية ينقسم الى قسمين: القسم الاول يتولى العمل بالنوبة أو بالتكنة، اما الثاني فيقوم بعمل المحلة كما كانت اهمية المدينة أو المنطقة الاستراتيجية تستلزم اقامة عدد كبير من الصفرية حيث تضم 23 جندي، كانت القوة العسكرية التركية ايضا تتشكل من عدد كبير من الخيام وتشمل كل خيمة نفس عدد الصفرية من الرجال يوجد بكل نوبة أو محلة آغا أو كاهية- ملازم اول- للآغا اوضه باشي، بولوكباش، وكيل الحرج كان الاتراك – غالبا – يحظون بامتياز لارتقاء مناصب عسكرية شرفية ذات منافع كثيرة، فمثلا، ساقا باشي الذي تقتضي مهمته تقديم الماء في اناء من فضة الى البايات اثناء المخيمات كان عادة من عناصر البولوكباش. لم يكن هؤلاء الضباط مكلفين، فحسب، بالقيادة، بل يشكلون ايضا داخل النوبات ديوانا عسكريا واداريا يتولى الفصل في القضايا التي تشب ما بين الاتراك والكراغلة(3).

ويمكن القول أن قوات النوبات العسكرية، اثناء فترة الداي حسين، آخر دايات الجزائر تتشكل من 86 صفرية، حوالي 1978 جنديا موزعة على نقاط مختلفة من الايالة، ونظرا لاهميتها نسجلها هنا بما فيها تلك التي تتعلق ببايلك الشرق الجزائري في عهد الحاج احمد باي(4).

---

(1) A.O.M., 1H 4, Constantine, le 25 février 1839, rapport du lieutenant général
(2) A , Dournon, op., cit., p.114.
(3) A.O.M., 8 H 3, organisation militaire des turcs.
(4) Idem.

- الجزائر العاصمة - مرسى دبان - تيزي وزو - بولوغين - حمزه - بسكرة - بجاية - وهران - صور الغزلان - القل - زمورة - عنابة - تبسة - معسكر - تلمسان - مستغانم	تتكون من نوبة واحدة تشمل على طريق الجزائر العاصمة الى قسنطينة تتكون من نوبة واحدة تشمل على طريق قسنطينة بها نوبة واحد من تتكون من نوبة واحدة تشمل	15 صفرية 03 03 03 03 05 05 10 03 03 03 05 05 05 05 05

تلك النوبات كانت مخصصة فقط لحراسة المدن أو المداخيل التي عينت لها، اذ لا يمكن لها مغادرتها مهما كانت الظروف الا عند تغيير فرقها العسكرية كل سنة أو في فصل كل ربيع من السنة، كما ان كل خيمة أو كل صفرية تتلقى كتموين القمح، خروفا واحدا كل خمسة ايام، حوالي 12.50 كلغ من الزبدة، 25 كيلا من الزيت، و 25 قطعة من الصابون، وذلك كل شهر(1).

وعلى أية حال، فان الحاج أحمد باي قد أعد قواته العسكرية اعدادا قوية باذلا كل ما في وسعه لتزويدها بالمؤن و العتاد الحربي كما عبأ الجماهير القسنطينية تحسبا لاي اعتداء فرنسي على بايلكة.

---

(1) في منتصف القرن السابع عشر الميلادي أقام الأتراك حامية عسكرية بمدينة تبسة، وقد خصصت حضيرة توجد بالشمال الشرقي للمدينة، لعلف الخيول بتلك الحامية؛ حيث أن وجودها هناك قد ترتب عنه نشر الأمن والاستقرار وسط قبائل تلك الناحية، من ذلك مثلا، أولاد سيدي يحيى بن طالب بالشمال الذين ظلوا محافظين على علاقاتهم الطيبة مع بايات قسنطينة.

الفصل الرابع

السياسة التي انتهجها الباي في حكم بايلكه

I - سياسته تجاه القبائل

II - سياسته تجاه العائلات الكبرى

السياسة التي انتهجها الباي في حكم بايلكه:

إن السياسة التي درج عليها الباي احمد في حكم بايلكه، اتسمت بطابع مميز خاصة في محاولة استقطاب معظم قبائل بايلكه، وكذا العائلات القسنطينية الكبرى قصد تاييده ونصرته، ولا شك ان تلك السياسة قد جاءت بثمارها، فالى جانب تحقيق الامن الى حد كبير، كانت لها ايضا نتائجها الايجابية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

I - سياسة تجاه القبائل:

قبل وصول الحاج احمد باي الى الحكم، كانت اوضاع البايلك مزرية للغاية، ولم يكن باستطاعة البايات الذين توالوا على الحكم من قبله، ان يخمدوا ثورات القبائل، أو يسيطروا على الوضع(1)، بل هناك من ذهب ضحية تلك الثورات، كثورة الشريف بن الاحراش شمال قسنطينة عام 1804م، والتي انتهت بمصرع عثمان باي قسنطينة، هذا الى جانب ثورات الحنانشة والنمامشة و الحراكته، التي لا يكاد ينطفئ لهيبها(2)، وهكذا فما ان توفى صالح باي قسنطينة عام 1792م، لم يعد في مقدور البايات الذين خلفوه في الحكم الامساك بزمام الامور(3) الى ان تولى احمد باي ادارة هذا الجزء من الوطن.

استطاع الباي احمد ان يعيد غالبية بايلكه الى الطاعة، نذكر على سبيل المثال قبيلة النمامشة التي ظلت طوال العهد التركي، وكذا الاستعمار الفرنسي ثائرة ولم يتم اخضاعها الا في عهد الباي احمد، حيث بدات تستجيب لدفع الضريبة كما اظهرت له الود والاخلاص(4).

لقد كانت سياسة الباي تتسم – في بعض الاحيان – بالشدة والعنف خاصة اتجاه القبائل المتمردة عن الحكم أوالتي تمتنع عن دفع الضريبة(5)، من ذلك مثلا ان قبيلة بني عمار بضواحي مدينة القالة التي كانت تابعة لشيخ

(1) H.De Grammont, op, cit, p.383.

(2) ناصر الدين سعيدوني, نفس المرجع, ص 59.

(3) A.O.M., 8H 3 , organisation du Makhzen turc dans la province de constantine.

(4) A.O.M., 10 H 12 historiques de Nememecha.

(5) A.O.M., 10 H 11 historique de la tribu de l'est algérien.

من اولاد ذياب يطلق عليه الباهي، لم تذعن لسلطة الباي سوى عام 1836م وظلت منذ ذلك الوقت تستجيب لمطالب المخزن(1) كما كانت الموابة وقبيلة زواغة واولاد خطاب وبني مروان ثائرة ضد الحكم التركي ولم يتم اعادتها الى الطاعة الا في عهد الحاج احمد باي.(2)

ان السياسة التي انتهجها الباي احمد في حكم قبائله جعلت منه يتبنى فكرة مشوبة بالحذر والحيطة تجاه تلك القبائل، لماذا؟ – لتجنب أي اصطدام بها ومحاولة جذبها لنصرة قضيته لذا عمد الى تنظيم تلك القبائل واعادة تعيين شيوخها وقيادتها ممن لمس فيهم الثقة والاخلاص.

واذا كانت سياسة الباي تتسم بهذا المظهرمن شدة تجاه القبائل المتمردة، فانها تتميز كذلك ببعض الليونة والمداهنة تجاه بعض القبائل الاخرى لكسب تاييده، من ذلك مثلا، قبائل المخزن، كقبيلة التلاغمة أو قبيلة اولاد عبد النور(3) كما حظيت ايضا قبيلة اولاد سيد عبيد في عهده بمكانة معتبرة، اذ لم يكن اهتمام الحكام الاتراك بتلك القبيلة في البداية الا نادرا جدا، كانت زاوية القبيلة قنتيس تعيش في سلام دائم مقابل تقديم بعض الهدايا الى بايات قسنطينة من اجل أن تحظى بالأمن والاعتبار وسط القبائل المجاورة، وقد استمرت تلك الحالة الى غاية أن تولى صالح باي قسنطينة الحكم، الذي شن حملة على قبيلة النمامشة وفاجأ، في آن واحد، تلك الزاوية مجبرا اولاد سيدي عبيد على تقديم ضريبة اللزمة التي قدرت بقيمة فرنكين للخيمة الواحدة. هذه السياسة التي دفعت بالكثير من العشائر على راسها الشابية الى الهجرة الى البلاد التونسية. إن الحاج احمد باي الذي استفاد الكثير من اخطاء سياسة اسلافه عمل على كسب مثل تلك القبائل المرابطية التي اصبحت في عهده معفاة من الضريبة والتكاليف الاخرى[4].

كان الحاج احمد باي يبحث عن الانصار وسط تلك القبائل، لذا بدا أكثر تعاطفا وعطاء مع الرجال المخلصين له من قبائل المخزن. كما كان

(1) A.O.M., 10 H 11Renseignements géographiques et historiques, subdivision, de Bône
(2) A.O.M., 10 H 11 Origine et historique de la tribu des O, Abd-el-Nour.
(3) Idem.
(4) A.O.M., 10 H 12 Note sue les O.sidi- Abid du cercle de tebessa. renseignements divers 1856.

اكثر تحررا من سابقيه فقد عمل على تقريب هؤلاء عن طريق منحهم قطع ارضية، من ذلك مثلا، منح السيد علي الملقب بالخوجة، قطعة من الاراضي العزل بعين المرسى، و ذلك نظرا لتفانيه في خدمة الباي بحماس[1]، كما استفاد ايضا بقطعة ارضية ببني حميدان السيد علي بن ايصار، الذي كان يشغل باش حامبة[2]، غير ان سياسة الباي لم تكن – دوما تتجه نحو هذا الاتجاه، بل – احيانا – ما كان يعتمد الى التخلص من أعدائه والمناهضين لحكمه[3].

وهكذا فان تلك السياسة التي درج عليها الحاج احمد باي في تسيير شؤون قبائل بايلكه جعلته يحتل – دون ريب – مكانة الحاكم البارز بين اوساط القبائل و ينال تاييد ونصرة معظمها.

II - سياستة تجاه العائلات الكبرى:

تميزت سياسة الحاج احمد باي تجاه العائلات الكبرى القسنطينية بطابع خاص، يختلف عن الطابع الذي اتسمت به سياسة اسلافه من البايات في هذا المجال، ذلك ان سلطة الاتراك ببايلك الشرق كثيرا ما كانت تبوء بالفشل في ممارستها السياسة بسبب نفوذ تلك الاسر على القبائل[4].

كانت تلك العائلات، بحكم عراقتها ونبل اصالتها تتقاسم قيادة البايلك, تقريبا. حيث تشرف على تسيير شؤون الغالبية الساحقة لقبائل الشرق. ان صالح باي قسنطينة، مثلا، لم يكن يستطيع ان يثبت في الحكم لمدة طويلة، الا عن طريق التعامل مع هذه الأسر[5]، اما الباي احمد، فقد وطد علاقته معها عن طريق اواصر صهرية، غير ان هذه السياسة قد ابعدت بعض العائلات الاخرى التي كان يراها الباي مؤذية لاستمرارية ادارته، من ذلك مثلا عائلة اولاد بوعكاز بالصحراء وعائلة ابن شنوف وبعض العناصر الاخرى من ابناء عمومة اولاد مقران ...الخ. مما ولد نوعا من

---

(1) A.O.M., 10 H 11 origines de la tribu des Amer.
(2) A.O.M., 10 H 11 historiques de la tribu des beni-hameïdan.
(3) A.O.M., 10 H 11 historiques des Azels Mechmech. M'chaida.
(4) L. Rinn, le Royaume d'Alger sous le dernier Dey alger1900, p 20.
(5) ناصر الدين سعيداني، نفس المرجع، ص 50

الاختلال في التوازن السياسي في بعض المناطق، بل ادى الى حدوث حروب طاحنة بين بعض العائلات كما هو الشان بالنسبة لاولاد ابن قانه وأولاد بوعكاز، حيث استمر النزاع بينهم على زعامة الصحراء لمدة طويلة، ولنحاول الآن ان نتعرف على تلك العائلات وعلاقات الباي معها أولا بأول.

اولا – أسرتا ابن قانه وأولاد بوعكاز

حظيت عائلة ابن قانه بصحراء قسنطينة- الزيبان- برعاية خاصة من طرف الباي، نظرا للنفوذ الكبيرالذي كانت تتمتع به فضلا عن انه نشا بين احضانها، فوالدته اصلا من تلك الاسرة[1] قام الحاج احمد باي عام 1830م، باسناد وظيفة شيخ العرب بالصحراء للسيد بوعزيز بن قانه. هذا الاختيار كانت له عواقب وخيمة على مسرح الاحداث بالمنطقة، يعود ذلك الى وجود عائلة اخرى منافسة لابن قانه، وهي عائلة بوعكاز التي كان يتزعمها فرحات بن السعيد، والتي كانت هي الاخرى تحظى بنفوذ واسع هناك يحكم عراقتها واصالتها وممارستها للسلطة التقليدية على سكان الصحراء، اعتبرت ان نزع السلطة من يدها من طرف الباي واسناد منصب شيخ العرب لعائلة قانه، يعد بمثابة اهانة لكرامتها وانتزاعا لحقها الشرعي في ممارسة تلك الوظيفة.

منذ ذلك الوقت، يبدأ الصراع على اشده بين تلك العائلتين الكبيرتين من اجل قيادة الصحراء وقد استمر هذا الصراع لمدة طويلة حتى بعد الاستعمار الفرنسي. كان فرحات بن السعيد قد اتخذ موقفا معارضا بل معاديا لسياسة الباي، فلم يعترف بسلطته علي، وظل يسعى جاهدا لاطاحة بحكمه، فتراه بعد احتلال الجزائر العاصمة يعرض على جينرالات فرنسا ولاءه ومساندته للتدخل في المنطقة، كما سنتبين ذلك في موضعه.

ولا ريب ان الباي كان يستهدف من وراء تنصيب عائلة ابن قانه ابعاد او عزل اولاد بوعكاز الذين يكنون له ولتلك الاسرة العداء، ثم ان تحالف

---

(1) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع, انظر
L, CH. Féraud, le Sahara de Constantine, Notes et souvenir Alger 1887n pp, 88-89.

الحاج احمد باي مع ابن قانه لم يزد اولاد بوعكاز سوى عملا واصرارا من اجل تكوين حلف مضاد فكان تاثيرهم واسعا بمختلف جهات الصحراء ما عدا بالزيبان، اين يوجد ابن قانه[1] الذي كان من بين انصارهم القبائل التالية: الصحاري، قبيلة سالمية، اولاد رحمون، ابن يزيد، اولاد حديدجة، قبيلة لخضر وجزءا من اولاد صاولة، في حين كان يشمل صف اولاد بوعكاز، القبائل التالية: عرب الشراقة الذين يتفرعون الى عدة فروع، منها، اهل ابن علين شرفة، قمرة، اولاد اهل النور وجزءا من اولاد سحنون بالحضنة[2]

ان فرحات بن السعيد زعيم تلك الاسرة والذي اطلق عليه المستعمر "أفعى الصحراء" لشجاعته وجرأته كان "...مثلا من امثلة الابطال المسلمين الاوائل... كما ان خصاله الحميدة قد استقطبت الكثير من الجماهير حوله... الى درجة ان الناس اصبحوا يظفون على شخصيته اوصافا خارقة"[3]

لقد قاد هذا الرجل حربا ضروسا ضد الباي واحلافه، واستمر الصراع والحقد الدفين بين العائلتين الى ما بعد سقوط قسنطينة، هذا الى جانب وجود حلف صف آخر، يتكون من عائلة اولاد بن شنوف انسال جعفر البرنكي الذين حملوا السلاح بالصحراء، الى جانب اولاد بوعكاز ضد الحاج احمد باي وانصاره هناك, ذلك ان احمد باي بن شنوف زعيم اولاد بن شنوف، كان يحكم الزاب الشرقي سنة 1830م ويعمل بدون هوادة للثار من ابن قانه الذين قتلوا والده[4]. فكان الحاج احمد باي يتدخل – اذن – من حين لاخر بالمنطقة لتثبيت سلطة افراد ابن قانه ونصرتهم على اعدائهم جميعا. كما كان يحاول الحد من اتساع نفوذ انصار الامير عبد القادر، لان هؤلاء، زعزعوا سلطة تلك الاسرة. ذلك ان بوعزيز ابن قانه لم يستطع السيطرة على الوضع حتى اثر

(1) A.O.M., 10 KK 31, Rapport du 10 janvier 1854.

(2) L lehuraux, le nomadisme et la colonisation dans les hauts plateaux de l'Algérie, Paris, 1931, p. 26.

(3) Séroka J.A. Commandant. << le sud Constantinois de 1830 à 1855>> Revue africaine. 1912, p. 381.

(4) L. CH. Féraud, op. cit. p. 257.

الاحتلال الفرنسي ومساندة الاستعمار له(1)، وهكذا يمكن القول ان سياسة احمد باي بالصحراء، لم تحقق دوما الأمن والاستقرار بتلك الجهة من البايلك بل احدثت نوعا من الاختلال في التوازن السياسي بين تلك العائلات.

ثانيا – أسرة أولاد مقران:

هناك اسرة اخرى ببايلك الشرق، لا تقل اهمية ومكانة عن ابن قانه، حيث قربها الحاج احمد باي من نفسه وحاول كسب ثقتها، هي اسرة اولاد مقران. منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي كانت تلك العائلة تمارس سلطتها على قبائل منطقة مدجانة وتدير شؤونها بحرية[2] ولكنها كانت تخضع الى حكومة البايات بقسنطينة اذ يتم اختيار ممثلها من بين افرادها مقابل تقديم ضريبة سنوية[3].

ونظرا للتاثير الكبير والنفوذ الواسع اللذين كانت تحظى بهما اسرة اولاد مقران بمدجانة، فقد راى الباي احمد من صالحه مساندتها ومؤازرتها لحماية الامن والاستقرار ببايلكه، في الوقت الذي كانت توجد فيه عناصر معارضة من الاسرة نفسها لادارته.

كان زعيم أولاد مقران هو السيد أحمد بن بوزيد المقراني الذي خاض صراعا مريرا وشاقا مع ابناء عمومته من اجل قيادة ادارة تلك المنطقة، الامر الذي جعل الاسرة مقسمة الى ثلاثة فرق متطاحنة فرع اولاد الحاج واولاد عبد السلام يكونون صفا واحدا، وهو الصف الرئيسي في عائلة اولاد مقران، الفرع الثاني يتكون من اولاد بوزيان، ثم اخيرا صف قندوز. وللتخلص من معارضة هذين الصفين الاخيرين وتمكين صف اولاد الحاج واولاد عبد السلام من اسرة المقراني، عمل الحاج احمد على ايقاف العناصر التي تبدو له مزعجة[4] ولم يكن احمد بن بوزيد المقراني يدخر أي

---

(1) انظر رسالتنا : "Occupation et Résistance… op. cit."pp. 68-73

(2) L. Renn, Histoire de l'inserrection de 1871.. Op..cit. p.15.

(3) Féraud, Histoire des villes … OP. cit, PP. 194 – 195.

(4) L. Rinn, OP. cit., PP. 14 – 16.

جهد لكسب ثقة الباي ونصرة قضيته، اذ ظل مخلصا له طوال فترة حكمه(1) يمده بالدعم الضروري عند الحاجة، فمثلا، اثناء الحملة الفرنسية ضد الجزائر العاصمة عام 1830م، شارك احمد المقراني الى جانب الباي وقوات الجزائر للتصدي الى الاحتلال الفرنسي. كما شارك ايضا ضد الحملتين الفرنسيتين على قسنطينة سنتي 1836م و1837م(2)

وهكذا يمكن القول ان اولاد مقران تحت قيادة احمد بن بوزيد المقراني، كانوا يشكلون سندا قويا ودعما متينا لادارة الحاج احمد باي الذي استطاع ان يضمن ولاء تلك العائلة والقبائل الخاضعة لنفوذها، ويحقق الامن والاستقرار ولو نسبيا هناك.

ثالثا – أسرتا بوعكاز بن عاشور وابن عز الدين بالزوارة :

نظرا لنفوذهما الواسع وتاثيرهما الكبير بفرجيوة والزوارة فقد سلك الباي نفس السياسة تجاه بوعكاز بن عاشور وابن عز الدين.

استمرت علاقات الباي ببوعكاز بن عاشور زعيم تلك الاسرة قوية ومتينة، وقد دامت تلك العلاقات حتى بعد سقوط مدينة قسنطينة، كما ان نفوذ تلك العائلة بالقبائل الصغرى، قد مكن – دون شك – الحاج احمد باي من المحافظة على الامن والاستقرار ببايلكه(3).

لقد ظل بوعكاز بن عاشور من أكبر الرجال المخلصين للباي أحمد، اذ وقف الى جانبه بكل ما يملك من قوة اثناء الحملتين الفرنسيتين على مدينة قسنطينة، 1836م-1837م. كما ظل ايضا بعد احتلال تلك المدينة على اتصال به، ينتظر لحظة الانقضاض على العدو، مما جعل من فرنسا تتخذ موقفا حذرا وتحافظ على الوضع الراهن دون احداث أي تغيير في قيادة فرجيوة، الا بعد مدة طويلة. كان الحاج احمد باي يسعى بكل ما لديه للمحافظة على الاستقرار والامن ببلاده القبائل الصغرى، لذلك لم يحدث انه

(1) A.O.M.6 H 26 Chefs et personnalités indigènes le khalifat El-Mokrani.
(2) A.O.M.6 H 1 bis notices biographiques sur les chefs et agents indigènes. Sétif le 19 août 1850.
(3) A.O.M. 32 KK 10-11 el hadj Ahmed Bou-Akkaz, voir aussi A.O.M. 10 H 56Ahmed Bou- Akkaz Ben-Achour L. CH "Férdjiau et zouar'a . notes historiques sur la province de Constantine, Revue Africaine t. XXIII 1878, pp, 86-93.

تدخل في شؤون تلك القيادة الداخلية، فسادت بالتالي علاقات اداريةغير مباشرة بين السلطة التركية الحاكمة وتلك القيــادات الكبرى، يربطها عامل استخلاص الضريبة، بالاضافة الى اواصر القرابة التي من خلالها ذلل الحاج احمد الكثير من العراقيل والصعاب التي كانت تعترض سبيله[1].

الى جانب تلك الاسرة هناك عائلة اخرى كانت لها علاقات طيبة مع الباي احمد، وظلت مخلصة له حتى بعد الاحتلال، وهي عائلة ابن عز الدين بمنطقة الزوارة، حيث كانت تمد الباي بكل ما يحتاجه من قوات، كما كانت تساهم في احلال الامن والاستقرار ببلادها الزوارة[2].

وفي الاخير نشير الى وجود عائلة أخرى كانت تحظى باهتمام الحاج احمد باي، هي عائلة ابن جلاب بمدينة تقرت بوادي ريغ التي تعاقب افرادها على حكم تلك البلاد، فكان من يتولى بها، يحمل لقب سلطان. كان صالح باي يتعامل معها الند للند، ولم يحصل على اية ضريبة منها[3]. كما كانت لها اواصر صهرية مع ابن قانه[4]، مما جعلها تخلص للحاج احمد باي وتعطيه ولاءها.

ومهما يكن من أمر، فان السياسة التي انتهجها الحاج أحمد باي تجاه الاسر الكبرى، قد هيات له الظروف الملائمة لتوطيد ركائز حكمه.

غير أن هذا لا ينف ان تلك السياسة كانت تخلو من عيوب، فكما هو الشان بالنسبة لأسلافه من الحكام الاتراك، كان يعمد – احيانا – الى التحريض على المنافسات بين القبائل المختلفة الاصول والاجناس، ذلك ان "الحرب هي عادة الأعراب، كما جاء في مذكراته، وان الذي يريد حكمهم يتحتم عليه ابقاءها بينهم... اما اوضاع السلم فانها تقارب بين العرب وتوحدهم حول غرض واحد. وهذه حالة لا ينبغي ان يطمئن اليها من كان يريد السيطـرة عليهم، اذ قد تاتي ظـروف، يتحد فيها هـؤلاء الرجال الاخوة.

(1) S. Ferkous op, cit., pp.236-237.
(2) Idem, voir p.262 et les pages suivantes
(3) E. Mercier, op.cit. p.279.
(4) A.O.M.2H22 Mission du lieutenant Delettre chez les tribus nomades du Cheikh El-Arabe en 1848.

ويجدون انفسهم منظمين للقيام بالثورة. وعلى العكس، فاذا وجدت الحرب أو العداوات، فان من يريد حكمهم يكون -دائما- متاكدأ من وجود الانصار"(1).

وفي الاخير نشير الى أنه بالرغم من بعض العيوب التي اتسمت بها سياسة الباي تجاه بعض القبائل المتمردة وتجاه المعارضين لسياسته، كانت لها جوانب مشرقة كثيرة، تمثلت، خاصة في اعادة الكثير من القبائل الى الطاعة وجلبهم لتاييده ونصرته، فاطمأن بذلك الناس وساد الامن والاستقرار في ربوع البايلك الى حد كبير، بالقياس الى العهود السابقة. كما انصرف السكان لخدمة اراضيهم واستغلالها، من ذلك، مثلا، ان اراضي اولاد عامر الشراقة التي لم تكن – قديما – تستخدم سوى للمرعى فقط، اصبحت في عهد هذا الباي ، تزرع وتقطف ثمارها من الحبوب(2). فكان اهتمامه بالاراضي واستصلاحها كبيرا(3)، حيث ازدهرت في عهده البلاد، الى درجة كبيرة في حين انه قبل توليه الحكم كانت مقاطعتة فقيرة، والاراضي مهملة الى درجة ان السكان لم يكونوا قادرين على تسديد الضرائب القليلة والتي لا يتم استخلاصها الا كل ثلاث سنوات.(4)

---

(1) مذكرات الحاج احمد باي, نفس المصدر, ص ص 40 – 41.
(2) A.O.M., 10 H 11, Origine A.O.M et historique de la tribu des Amer-Cherraga.
(3) A.O.M., historique de la tribu Serraouia.
(4) حمدان خوجة, نفس المصدر, ص 173.

الباب الثاني

الحاج أحمد باي ومقاومة الاحتلال الفرنسي

الفصل الخامس

الحاج أحمد باي إثر احتلال الجزائر العاصمة

- I – موقف الحاج أحمد باي من العدو الفرنسي
- II – الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر
- III – الحاج أحمد باي والباب العالي
- IV – نحو احتلال مدينة قسنطينة

الحاج أحمد باي إثر احتلال الجزائر العاصمة:

سبق وان ذكرنا في الفصل الاول، ان الحاج احمد باي قد شارك بفعالية ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر اذ بلغ عدد جيوشه المشاركة – آنذاك – ثلاثة آلاف فارس[1] استطاعت ان تنشر الخوف والهلع بين صفوف العدو[2]، لكن تمكن المستعمر من التقدم واحتلال الجزائرالعاصمة، اثر ذلك اضحى الباي يترقب تطور الاحداث متحسبا لاي عدوان فرنسي على بايلكه. كيف كان – اذن – موقف الباي تجاه المستعمر؟ ما هو موقف الباب العالي من هذا الاحتلال؟ ثم هل استطاع الباي ان يحصل على عون ومساعدة السلطان العثماني لمجابهة المحتل؟

I – موقف الحاج أحمد باي من العدو الفرنسي:

اثر سقوط الجزائر العاصمة، سارع الحاج احمد باي للعودة الى عاصمة بايلكه. ولكن – وهو في طريقه الى قسنطينة – بلغه ان قبيلة ريغة بسطيف وقبيلة العلمة وقبيلة عامر الغرابة، كلها متاهبة للانقضاض عليه بزعامة المناهض لحكومة الباي، ابن قندوز الذي ينتمي الى احدى فروع عائلة اولاد مقران، السابق الذكر، هذه الحركة استطاع الباي ان يقضي عليها بموازرة ابن عبد السلام المقراني، ثم يدخل عاصمته منتصرا على القبائل المتمردة[3].

كان الحاج أحمد باي قد جمع كل أنصاره من الاتراك الذين قدموا معه من الجزائر،[4] قصد اعداد جيش قوي يمكن ان يعتمد عليه، كما عمل بجدية على تحصين عاصمته قسنطينة، ثم قام ببناء ثكنات جديدة مستوعبا بها جنودا من الوطنيين الجزائريين، ثم نصب نفسه باشا كخليفة للداي حسين[5]).وفي هذه الظروف اثبت احمد جدارته في الداخل وفي الخارج، كما اعطى مثلا رائعا في استقامته وقدرته على ادارة شؤون بايلكه، فلم يكن يحجمه أو يرده أي عائق قصد تحقيق مبتغاه[6].

---

(1) A.O.M. 10 H 11Origine et historique de la tribu des O. Abdel-Nour.
(2) CH. Feraud, Notice sur les O. Abel-Nour, in R.S.I. , 1864,P. 178
(3) A.O.M. 10H11.
(4) J. Serres, la politiqu turque en Afrique du Nord sous la monarchiede juillet, Paris 1925, P. 44
(5) E. Mercier, op. Cit., p. 3
(6) L. CH. Féraud, op. cit. voir pp. 242-243.

كان البعض يعتبر هذا الباي عربيا وليس تركيا. وكان الاتجاه يرمي – آنذاك – الى تكوين حكومة وطنية ليس هناك احسن من الحاج احمد لتوليتها، لذلك شرع في التخلص من الجنود الانكشارية وتعويضها بعناصر وطنية[1].

حاولت فرنسا ان تقضي على هذا القطب من اقطاب المقاومة الشديدة ضد الاستعمار، ولكن محاولاتها باءت بالفشل، والتزم الحاج احمد موقفا عدائيا تجاهها. لقد طلب الجنرال بورمون من الحاج احمد باي ان يسلم نفسه لفرنسا، ولكن هذا الاخير رفض رفضا باتا[2]، فكانت محاولة فاشلة، تلتها محاولة الجنرال كلوزال الذي اعتقد انه بمرسوم مؤرخ في 15 ديسمبر 1830 يستطيع عزل الباي ومنح احد اشقاء باي تونس الخلافة على بايلك قسنطينة، لكنها كانت ايضا محاولة فاشلة فضلا عن رفضها رسميا كمشروع من طرف الحكومة الفرنسية[3].

ولما قدم الدوق دي روفيقو الى الجزائر لتولي منصب الحاكم العام في 1831/12/17، سعى ايضا لحمل الباي احمد على الاعتراف بالسيادة الفرنسية. اما المفاوضات التي دارت بين الرجلين بواسطة حمدان خوجة، صاحب كتاب المرآة قد باءت هي الاخرى بالفشل الذريع[4]. ذلك ان احمد رفض رفضا قاطعا كل استسلام مخالف لتعليم عقيدته الاسلامية[5]. ففي رسالة مؤرخة في 14 ديسمبر 1832، بعث بها الباي الى حمدان خوجة ردا عن المهمة التي كلفه بها الدوق والتي تستهدف استسلامه لفرنسا، حسم احمد الموضوع، قائلا: " لقد وقع السؤال منهم سابقا –الفرنسيون- من أول الأمر وتكرر صدور الجواب منا بعدم الامكان... وبينا وجه تعصب الأمر وتعسره وعدم امكانه وتعززه، سابقا ولاحقا ولو كنت حاضرا -المقصود به حمدان خوجة- ناظرا لكلياتنا وجزئياتنا وما عليه احوال الناس لعلمت مقالنا وانت بارك الله فيك ذكرت انك الزمت بالقدوم الينا من اجل المفاوضة ...

(1) Séroka. op, cit. p. 379.
(2) M. Emérit, les mémoires d'Ahmed bey de constantine. in, R.A 1er et 2em trim. 1949, p.79-80.
(3) E, mercier, op, cit, p, 7.
(4) A.temimi, op, cit. pp, 115-126.
(5) CH.A Julien. historique de l'Algérie contemporaine (1827-1871) paris, 1946, p, 95

فأقدم بمعونة الله الينا... ويتضح لك الممكن من المستحيل، اذ المشاهدة لذلك اقوى دليل ويكون قدومك من غير التزام بشيء...،[1] مما يبين ان الحاج احمد لم يكن يرضى بخضوع فيه مسكنة ومذلة.

ونتيجة لعدم استجابة الباي، حاول الاستعمار استغلال التيار المناويء لسياسة احمد لضرب الجزائريين بعضهم ببعض، فقد لجا الدوق الى هذه الطريقة كمحاولة لاختصار الطريق قصد الاقتصاد في الدم الفرنسي وتكاليف الحرب، اذ شجع كثيرا فرحات ابن السعيد للقضاء على حكومة الباي لكن فرحات طلب من الدوق تكوين حملة مشتركة لتقويض سلطة احمد[2]. وفشلت تلك المحاولات، بل ظل الباي قائدا للبايلك، بدون منازع.[3]

حاول ايضا المستعمر استغلال عداء بعض شيوخ القبائل للحاج أحمد وترغيبهم في القدوم الى الجزائر العاصمة, من ذلك مثلا، محمد ابن احمد الغضبان، شيخ اولاد عبد النور والمرابط سي الحسين بن عزوز من اولاد بن عزوز بالزاب الظهري، وغيرهما، كما فكر الجنرالات الفرنسيون في استدراج وجلب عائلة ابن جلاب بتوقرت لتكوين حلف ضد الباي، ولكن هذه المحاولات لم تفلح كذلك[4].

في تلك الظروف، كان الوضع متازما بمدينة عنابة والصراع على اشده بين الحاج احمد والاستعمار الفرنسي الذي سخر كل ما عنده لاحتلال تلك المدينة. كان الباي يعتبر عنابة جزءا لا يتجزا من بايلكه، لذا لم يدخر أي جهة لمنع الفرنسيين من الدخول اليها.[5]

قدم اليها الضابط الفرنسي هيدار في سبتمبر 1831، مرسلا من طرف الحاكم العام – آنذاك – بريتزان، مدعما بكتيبة من الجيش التي كان يقودها

---

(1) A.O.M. , 1 H 2 lettre inédite du hadj Ahmed bey à sidi hamdan khodja en date du 27 rabiah el aoual 1248h/14 décembre 1832 (أنظر الملحق، وثيقة رقم 2).
(2) A.O.M. 1 H 2 correspondance de 1832 du cheikh des arabe si Ferhas au général sultan d'Alger reçue le 26 janvier 1832.
(3) A.O.M. 1 H 11 historique des o, Abdel nour.
(4) A.O.M. 1 H 2, correspondance de 1832, Mohammed ben Ahmed el godban au général en chef le 16 juillet 1832.
(5) L. CH. Féraud, Documents pour servir à l'histoire de Bône R A1837. t XVII. P13.

النقيب بيقوت، في محاولة لاحتلالها، لكن هذين الظابطين قد لقيا مصرعهما، ومنيت جنودهما بخسائر فادحة في الارواح والعتاد(1) من طرف السكان.

كان وقع فشل تلك الحملة الفرنسية على نفسية المستعمر كبيرا جدا. لذا قررت فرنسا القيام بحملة اخرى, وكان- آنذاك- الدوق دي رفيقو الذي يعد من الانصار المنادين باحتلال الجزائر احتلالا مباشرا، فاعد الحملة التي قادها دار موندي والمملوك يوسف، حيث استطاعا احتلالها في مارس 1832(2).

حاول الخليفة الباي احمد، ابن عيسى بكل ما لديه من قوة وعتاد للدفاع عن تلك المدينة، لكن المستعمر، بعد ان تدخلت البحرية الفرنسية بكل قوة، استطاع ان يدخل القصبة،(3) في حين توحدت القبائل بضواحي المدينة مانعة العدو من التوغل والتقدم في الداخل[4].

ادرك الحاج احمد باي اكثر من ذي قبل الخطر من جراء احتلال مدينة عنابة، لذلك دعم سلطته وقواته الحربية، فكون نواة اخرى من الجنود المخلصين الذين يمكن بواسطتهم احباط كل محاولة استعمارية على عاصمة بايلك، هذا من جهة، ومن جهة اخرى، حافظ على علاقاته باوروبا عن طريق تونس فكان ياتيه كل ما يحتاجه، خاصة الذخيرة الحربية، حاول الدوق دي روفيقو ان يجمد تلك العلاقات التجارية، فطلب من الحكومة التونسية خلال سنة 1833 على لسان القنصل الفرنسي م. دوفال، منع تلك العلاقات وايقافها، غير ان الباي التونسي لم يخف عدم قدرته لاتخاذ أي اجراء في ذلك[5].

لم يترك الحاج أحمد أية وسيلة لكسب التأييد الداخلي والخارجي لقضيته، ففي بداية جانفي 1834، بعث برسالة الى القنصل البريطاني بتونس طوماس ريد الذي كان احد المعارضين للاحتلال الجزائري، يخبره

---

(1) P. Azan, l'armée d'Afrique de 1830 à 1852. Paris 1936. pp. 62-63.
(2) Idem. pp. 82-83.
(3)Moitrot(capitaine), Bône militaire, 44 siècles de luttees, bône1912, voir PP. 321–345.
(4) J. serres, op.ci., voir pp.128-129.
(5) J. Serres, OP. cit., PP. 128 - 129 .

فيها ان مركبة تجارية القي القبض على ركابها المالطيين على الساحل الرابط ما بين مدينتي عنابة وبجاية، قد حصل على اطلاق سراحهم وارسل بهم الى تونس. كما ارسل بشكوى مشفوعة بخواتم وامضـــاءات رؤساء القبائـــل واعيان البلاد الى البرلمان البريطاني، يطلب فيها حماية بريطانيا ضد فرنسا[1]، ولكن لم يتلق أي رد. وهكذا ظل الباي يناضل ويقاوم معلقا آمالا كبيرة خاصة على الخلافة العثمانية.

الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر:

لايزال الى حد الآن كثير من الغموض يسود طبيعة الخلاف والنزاع بين الامير عبد القادر والحاج احمد باي قسنطينة. وما استطعنا ان نتوصل اليه من خلال تتبع كفاحهما الطويل والشاق ضد الاستعمار الفرنسي الصليبي، أن الأمير كان قد سعى من اجل تحقيق الوحدة، إلا أن الباي احمد قد رفض ذلك للأمير... لماذا؟.

قبل كل شيء، إن الأمير عبد القادر الذي كان رجل علم وجهاد، بذل كل ما في وسعه من اجل أن يجعل الأمة الجزائرية، امة واحدة تعمل بتعاليم الإسلام وتحقق فضائل أهل القرون الاولى للهجرة، بعد ايقاظها من الغفلة(2)، "فلو ان اخي الشقيق – كما قال – أحل دمه بمخالفة القرآن لمات"(3). غير انه ظل ينظر الى أتراك الجزائر على انهم مصدر كل المحن والمآسي التي نزلت بالبلاد بعد حلول الاجنبي الكافر بها(4) ذلك ان الامير قد تيقن من ضعف الاتراك السياسي والعسكري، مع اتساع استغلالهم لطبقات الشعب الجزائري، الامر الذي يفسر كذلك موقفه من الكرغلي الحاج احمد باي الذي كان في نظره لا يختلف عن بقية الاتراك الآخرين الذين القى عليهم ما حل بالجزائر من سوء العقبى وويلات الاستعمار.

(1) Idem voir PP. 130 – 133 voir aussi A. Temmimi. Op. Cit. PP. 138 – 139..

(2) الجزائري الأمير محمد بن عبد القادر تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر شرح و تعليق الدكتور ممدوح حقي الطبعة الثانية بيروت 1964, انظر صص 53-147.

(3) ش.هـ.تشرشل, حياة الأمير عبد القادر, ترجمة و تعليق د.أبو القاسم سعد الله، تونس، 1974، ص 58.

(4) A. Temimi, op, cit, p 186.

وبالرغم من محاولة الباب العالي تبديد الخلافات بين الرجلين وتقريب وجهات نظرهما،(1) وبالرغم كذلك من مواجهتهما لعدو واحد صليبي، فان الاستراتيجية الاستعمارية قد تفوقت وحطمت كل المساعي الهادفة الى تحقيق الوحدة، فعلى سبيل المثال استطاع الماريشال فالي ان يتفاوض مع الباي احمد، فكان يعده ويمنيه بإعادة تنصيبه إثر احتلال مدينة قسنطينة، كباي على بايلك قسنطينة، وذلك قصد الحيلولة دون وحدته مع الامير. في حين استطاع من قبله الماريشال بيجو ان يتوصل الى عقد اتفاقية تافنة مع الامير في 20 ماي 1837م وذلك قصد التفرغ الى احتلال مدينة قسنطينة. هذه الاتفاقية التي وصفها بيجو نفسه "على انها تؤكد للباي احمد، ان تفكيرنا لم يعد مشتتا حول نقاط عدة من الايالة، وانه بامكاننا ان نوجه ضده اكبر جزء من قواتنا"(2) و لم تكن نية الامير من معاهدة تافنة ضرب الحاج احمد باي،(3) وانما لاخذ بعض الوقت.

ومع ذلك فان الامير عبد القادر – فيما يبدو – كان قد تفطن الى تلك الاستراتيجية، حيث يقول الجينرال قالبوا واثقا مما يقول: "انني متاكد جدا ان الباي احمد قد بلغته رسائل عديدة من عبد القادر يدعوه فيها الى الوحدة ضدنا، ولكن الباي لم يكن - في الظاهر- مستعدا لذلك، فكان يكره الامير ويغار منه"(4) وعوضا ان يحدث التقارب بين الاخوة، كان الصراع بينهما الى اراقة الدماء.

والواقع ان تصلب الباي في موقفه هذا، ناجم عن اعتقاده الراسخ بانه الوارث الشرعي لحكومة الجزائر. ولذلك كان يرفض أي تفاوض مع الامير، فضلا على انه لم يحدث أي تنازل من الطـرفين حتى يتحقق الكفاح

---

(1) J. serres ; op. cit. p. 165.

(2) G.Yver. Documents relatifs au traité de la Tafna (1837), Alger 1924, lettre au M.G.p.148.

(3) لقد اعتقد الحاج أحمد أن معاهدة تافنة كانت مؤامرة ضده. فقد كتب يقول: "إن العدو (الفرنسي) أبرم مع عبد القادر وأحد شروط هذه السلام.. القضاء على كل أثر لسلطتي بالبايلك (قسنطينة)

(4) A.O.M., 1H4, Constantine le 26 Aôut 1839 Rapport du généria Golbois au gouverneur général.

والجهاد المشترك ضد العدو الواحد الذي ظل مدة طويلة بالبلاد يعبث فيها كما يشاء مهلكا الحرث والنسل، وزارعا الموت والدمار.

الحاج أحمد باي والباب العالي:

في تلك الفترة، كان البا ب العالي يحاول وبكل الوسائل، اعادة فتح الجزئر العاصمة، وتخليصها من الاستعمار الفرنسي وحاثا الحاج احمد باي تجنب وقوع مدينة قسنطينة تحت نير الاحتلال.(1)

ان مسالة تدخل الباب العالي بقسنطينة لرد الاحتلال الفرنسي قد. نوقشت كثيرا بديوان الحكومة. ففي 7 افريل 1836م، ارسل كيميل باي، عقيد بالفيلق الثاني التركي في مهمة الى قسنطينة، حيث وصلها في شهرجويلية. مهمة العقيد لم تكن تتجاوز مجرد وعود يقدمها الباب العالي الى الحاج احمد والامير عبد القادر، اذا استطاعا اخراج المستعمر، يسند منصب الخليفة لكل منهما على التوالي بايلك قسنطينة، وبايلك الجزائر. هذا في الوقت الذي كانت تحاول فيه الخلافة تبديد الخلافات والنزاعات بين الرجلين وتقريب وجهات نظرهما(2)، ولكن بدون جدوى.

ان الواقع المؤسف الذي اصبحت عليه الامبراطورية العثمانية – عهد ئذ – لم يكن يسمح لها بتقديم الدعم المادي الكبير الى الحاج احمد باي لمواصلة مقاومته ضد الفرنسيين أو تحرير البلاد، وظل الباي يلح باستمرارعلى دعمه، مبرزا بكل وفاء واخلاص، ارتباطه بالخلافة العثمانية: "لايمكن ان يتجه -خادمك الباي احمد مخاطبا الخليفة- الى الفرنسيين، ما دام على وجه الارض خليفتنا الاكبر، سيدنا السلطان محمود الذي بامكانه وحده ان يقدم لنا العون". في حين الزم الباي السلطان العثماني على تحمل المسؤولية امام الله تعالى، عما يترتب من عواقب الاهمال واللامبالاة تجاهه: "في يوم الحساب، ساطلبكم أمام الله، لماذا تخليتم عن خادمكم والذود عن دين

---

(1) رجمنت كوران, السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة، ع، التميمي, الطبعة الثانية، تونس، 1974، انظر ص ص 86 – 06.

(2) J. serres, op, cit, p, 165.

رسول الله، محمد صلى الله عليه وسلم...."(1) والظاهر انه لم يصله أي مدد من السلطان.

نحو احتلال مدينة قسنطينة:

في 21 جانفي 1836م، قام كلوزال باصدار امر الى المملوك يوسف للذهاب الى مدينة عنابة(2)، حيث شن غارات وحشية على السكان، بلغ فيها الى درجة قتل الاطفال والنساء والشيوخ(3). كان المملوك يوسف قد شجع كثيرا الماريشال كلوزال لشن حملة على مدينة قسنطينة، فبدا العمل على اعداد الحملة الاولى في نوفمبر 1836 والتي انتهت الى فشل ذريع تاركة آثارها الوخيمة، ماديا ومعنويا في نفسية المستعمر، كما ترتب عليها تعويض الماريشال كلوزال بالماريشال دامريمون(4). ذلك ان تلك الحملة، قد فوجئت بمقاومة شديدة قادها الباي احمد بحماس، تشد ازره الكثير من القبائل القسنطينية(5).

حاول دامريمون، في البدء التفاوض مع الحاج احمد، طالبا منه، الاعتراف بسيادة فرنسا وتقديم ضريبة سنوية(6)، لكن الباي رفض تلك الاقتراحات(7)، فقرر الماريشال القيام بحملة اخرى على قسنطينة مستخلصا، في الوقت نفسه دروسا من هزيمته الاولى(8). قبل ذلك، عين النقيب فولتز، الذي كان – آنذاك – بتونس، للقيام بدور الجوسسة لمراقبة الراي العام القسنطيني واخذ معلومات عن القوة العسكرية للباي وكذا استعداداته وتحركاته(9).

---

(1)A temimi, trois terres de hadj Ahmed bey de Constantine à la Sublime Porte in R.O.M.M. N° 3 1ers semestres 1967, voir p 152.
(2) P. Azan, op, cit, P, 193.
(3) CH, A Julien, op cit, pp 93-94.
(4) Idem, pp, 132-133.
(5) A.O.M. 10 h 11, historique des o, abdel-nour, téleghma, Arb Skikda zredza.
(6) E, mercier, op, cit, p, 414 ; voir aussi, ch., A, julien, op, cit, p, 140
(7) محمد الصالح العنتري, الفريدة المؤنسة أو تاريخ بايلك قسنطينة, 1846, انظر ص ص 125-128.
(8) E, Mercier, op, cit, P, 415.
(9) A.O.M., F 80, 1673, ahmed bey.

وهكذا استطاعت فرنسا ان تتفرغ كليا لتكسير هذا الدرع القوي، خاصة بعد اتفاقية تافنة ماي1837م بين المستعمر والاميرعبد القادر والتي بمقتضاها، تم ايقاف القتال بين الطرفين. هذه الاتفاقية عارضها بشدة الباب العالي[1]، مما يبين ان الرجلين كانا رجلا حرب ولم يكونا يدركان مرامي المخططات الاستعمارية، وكان من الممكن – لو وقع تنازل متبادل فيما يخص اختلافاتهما لاستطاعا ان يعجلا بنهاية الاستعمار.

كان الحاج احمد على علم بكل التحركات الاستعمارية والاستعداد لشن حملة اخرى على مدينة قسنطينة، فاعد العدة واستعد لذلك. وفي هذا الظرف وصلته رسالة من الماريشال دامريمون والدوق دي نمور يخبرانه بقدوم الحملة الفرنسية ويطلبان منه التفاوض[2]. كما ارسل ايضا الماريشال الى السكان بقسنطينة، برسالة تعهد زائف ووعود كاذبة – حيث سبقها في ذلك مثل الجزائر العاصمة-، يتعهد فيها باحترام مقدساتهم الدينية و ثرواتهم، ولكن ابن عيسى، خليفة الباي كان يدرك بانه اسلوب استعماري تقليدي ولا بد من المقاومة، فرد على العدو بسخرية قائلا: "اذا كنتم تفتقرون الى الذخيرة الحربية، نبعث لكم ما تريدون، واذا لم يكن لديكم البيسكوت، نقتسم معكم ما عندنا، ولكن لا يمكن ان تدخلوا قسنطينة أو تصبحوا سادتها، الا اذا قضي على واحد آخر منا"(3).

وصلت الحملة الفرنسية الى سطح المنصورة في 5 اكتوبر 1837، كان الحاج احمد قد اسند مهمة الدفاع عن المدينة الى ابن عيسى، حيث واجهت قوات العدو مقاومة عنيفة،[4] لقي الماريشال دامرمون مصرعه في 12 اكتوبر وكذلك قائد الاركان بيريقو. خلف دامريمون الكونت فالي في القيادة، حيث تعززت القوات الفرنسية التي استطاعت ان تدخل جيوشها قسنطينة في 13 اكتوبر،زارعة الموت والدمار والفساد والنهب بين أوساط السكان[5]. اما الحاج احمد باي الذي دافع عن عاصمته بكل ما اوتي من قوة وعتاد، انسحب نحو الجنوب القسنطيني لمواصلة المقاومة ضد المحتل كما سياتي ذلك.

---

(1) ا. كور. نفس المرجع, ص 103.
(2) محمد الصالح العنتري, نفس المصدر, ص ص 123-125.
(3) E Mercier ; op , cit, P, 423.
(4) A.O.M. , 10 h 11, op, cit,
(5) CH, Juliens, op, cit, pp, 141, 142, voir aussi, A,Temimi, le beylik de constantine…op, cit, pp : 197-198.

الفصل السادس

الحاج أحمد باي والماريشال فالي

I ـ احتلال مدينة قسنطينة.
II ـ المفــاوضات.
III ـ محاولة استغلال العداوة القديمة بين فرحات بن السعيد والحاج احمد باي
IV ـ استئناف المفاوضات مع الباي

الحاج احمد باي والماريشال فالي:

I - احتلال مدينة قسنطينة:

ان سقوط مدينة قسنطينة في قبضة العدو، قد ترتب عنه فوضى عارمة بالبلاد وتدهور كبيرفي الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية. لقد قدر فالي الخسائر في الجيوش الفرنسية بمائة قتيل و500 جريح، ولكن هذه الارقام كانت اقل بكثير من الحقيقة، اذ ان بريسون، كتب سريا من الجزائر يوم 28-10-1837 الى وزير الحرب يقول: "كان زادنا الحربي قد نفذ عندما سطونا المرة الاخيرة، ولو ان الهجوم، الذي زعزعه انفجار لغم، لم ينجح، واستطاع العدو ان يرجع الجيوش الى مكان المدافع الصامتة، وهو ما كاد يقع لهلك الاجناد كلهم"(1).

كانت شجاعة الباي احمد وجنوده الذين دافعوا بكل ما لديهم عن سقوط مدينتهم في مستوى الظروف القاسية التي فرضت عليهم(2).- اثر ذلك- انسحب الباي الى صحراء قسنطينة: "وفي الحين (فكر الحاج) احمد في محو الهزيمة لان الله لا يضيع كليا الا الذين يهملون انفسهم. لذلك استدعيت سادة القوم فاجتمعوا حولي وبعد ان استعرضت الموقف، اقترحت عليهم تشكيل زمالة بجميع الذين خرجوا من المدينة ثم نقودها الى مكان امين في الجنوب ونبقيها فيها تحت حماية مشاتنا. اما نحن فنرجع فورا الى المدينة ونتمركز في طريق عنابة بحيث نقطع حركة المرور"(3).

كان هدف الباي هو قطع الاتصالات على العدو والنجدات لتحقيق النصر. وقد لقي مشروعه هذا التاييد، ما عدا بوعزيز بن قانه الذي اعترض عليه، قائلا: "ماذا تريدون ان تفعلوا: تبتعدون عن بلدكم وتتوجهون نحو الشمال، اذن، فانتم لا تعلمون ان فرحات بن السعيد يقترب بسرعة من الزيبان

(1) محمد العربي الزبيري، مذكرات الحاج احمد باي، هامش، ص 75، نقلا عن المجلة الإفريقية، نوفمبر 1937، ص 21 و المحفوظات الوطنية بباريس، ف 80، 1972.
(2) مذكرات الحاج احمد باي, ص 76.
(3) نفس المصدر, ص 77.

وفي الوقت الذي تحاولون فيه الدفاع عن قسنطينة، فانكم تعرضون انفسكم للطرد من منطقتكم. ولذلك يجب ان نسرع الى الصحراء ندخل عائلاتنا ومن اتبعنا الى المدن ثم نخرج متحدين ضد العدو الذي نخشى هجومه اكثر، فالفرنسيون لن يتقدموا، بينما فرحات يزحف علينا. ومن ثم يجب ان نبدا بمحاربته، وبعد ذلك نوحد قوانا ونهاجم الفرنسيين"[1]. وقد استحسن الباي نصيحة ابن قانه، وكان عوضا ان يتقاتل الاخوة الاشقاء، ان يوجهوا كل قواتهم ضد العدو المشترك.

فكر المستعمر- بعد احتلال مدينة قسنطينة- في اخضاع القبائل والسكان لسيطرته، لذلك نجده يتبنى سياسة مشوبة بالحيطة والحذر، تستهدف المحافظة على الوضع الراهن وتجنب كل اصطدام بالجزائريين. وبالرغم من احتلال عاصمة بايلك الشرق، فإن هذا الاحتلال لم يحقق تقدما استعماريا ملموسا بالبلاد، بل ظل جزئيا، يقتصر، فقط، على الشريط الساحلي، بالاضافة الى العزلة التي كان يعيشها، فان المقاومة الشعبية تزداد اتساعا في كل انحاء البلاد.

ولتجنب الحرب مع الحاج احمد باي، بدا للمارشال فالي ان اسلوب التفاوض مع هذا الباي قد يكون ناجحا لتوطيد ركائز الاستعمار، فعلى أي اساس ارتكزت المفاوضات، وكيف كانت طبيعتها؟.

II – المفاوضات:

بعد يومين من سقوط مدينة قسنطينة، وعندما كان الحاج احمد باي في المكان المسمى الاصنام، حمل له احد الفرسان العرب رسالة من المارشال فالي قصيرة تحتوي على العبارات التالية: "تعالوا اطلبوا الامان واستسلموا سريا سنبعثكم الى فرنسا،"[2] لكن الباي رفض هذا العرض وظل يقود الجهاد ضد المحتل.

---

(1) نفس المصدر، ص 77.
(2) نفس المصدر، ص ص 78-79.

مضت ايام دون ان يصل جواب من احمد. وفي 24 اكتوبر 1837م، حمل اليهودي بجناح الرسالة التالية من الباي الى الماريشال فالي: "اذا كنتم ترغبون في استتباب الامن، فاعلموا انني لم اتغير، ولا ينقصني شيء، وان مصالح المسلمين وشؤونهم ما تزال على ما كانت عليه. وما دمت حيا، فانكم لن تحصلوا على شيء حتى ولو عينتم في مكاني مسلما. ان ذلك لن يجيدكم نفعا لاني اليق بكم من أي شخص آخر. فاذا كانت نيتكم هي اقامة السلم واعادة التجارة فما عليكم الا ان تخبروني. ان بوجناح مخلص لي، وقد وضعت كل مصالحي بين يديه، وسينقل اليا ما تريدون"(1).

ان هذه الرسالة لم يرد عليها الماريشال، مباشرة في حين اخبر الباي احمد السلطان العثماني بكل ما يحدث، شاكيا في الوقت نفسه عدم الاهتمام واللامبالاة به: "ولم استطع الاحجام عن رفع شكاوي شديدة اللهجة من الاهمال الذي تركت فيه"، فكتب الى السلطان محمود الثاني قائلا: "انظروا، انني رفضت التفاوض مع الفرنسيين وظللت انتظر النجدات التي وعدتموني بها. انني لم افعل شيئا دون استشارتكم والعمل بنصائحكم، وها انا الآن طردت من قسنطينة واصبحت اتجول بين الاعراب. هل هذا هو جزاء ثقتي بكم وهل نفذتم ماوعدتموني به منذ سبعة سنوات، اليست طاعتي اليكم هي التي قادتني الى هذا الوضع المؤلم وهل تتركوني على ماأنا عليه. انني اخبرتكم وعليكم ان تفعلوا ما تريدون"(2) لكن لم يحدث ان وصله المدد من اسطنبول.

وللتاكيد من استعدادات الحاج احمد باي للجنوح الى السلم، اعتقد فالي انه يمكن بواسطة اتفاقية انهاء الحرب التي تقوم بها فرنسا منذ سبع سنوات. ولذلك صاغ المشروع التالي(3):

"لقد تمت الاتفاقية التالية بين الكونت فالي، القائد الاعلى للقوات الفرنسية في مقاطعة قسنطينة والحاج احمد باي قسنطينة.

---

(1) G Y ver, correspondances du Maréchal Valée, gouverneur général des possessions françaises dans le nord de l'Afrique (octobre 1837- mai 1838), Paris, 1949, p.14, A.O.M.F. 80, 1673, Ahmed bey,

(2) نفس المصدر, ص 82.

(3) نفس المصدر, ص ص 108-111؛ انظر كذلك .A.O.M. F 80.1673. Ahmed bey

المادة الاولى: يعترف الحاج احمد باي قسنطينة بسيادة فرنسا وسلطانها عليه.

المادة الثانية: تعطي فرنسا الى الحاج احمد باي لقب باشا وهو لقب شخصي.

المادة الثالثة: يدفع احمد باشا لفرنسا غرامة سنوية قدرها مائة الف فرنك.

المادة الرابعة: يدير احمد باشا من مقاطعتة قسنطينة الجزء الواقع جنوب خط ينطلق من القالة ويمر بقالمة ومجاز عمار الى حدود ستورة، وتحتفظ فرنسا بمنطقتي: ستورة والقالة. كما انها تحتفظ بجيجل والقل وبجميع الموانيء الواقعة على ساحل بايلك قسنطينة القديمة.

المادة الخامسة: يلتزم احمد باشا بالا يتنازل لاية دولة أجنبية ومهما كانت الاسباب عن أي قطعة من المنطقة التي يديرها. كما انه لا يستطيع السماح لاية امة اجنبية ان تقيم ولو مؤقتا في احد موانيء هذه المنطقة.

المادة السادسة: تكون التجارة حرة بين فرنسا والاهالي وفقا للتعاريف ولانظمة الجمارك الجاري بها العمل في البلدين. ويلتزم احمد باشا بالا يتاجر الا مع عنابة وغيرها من موانيء الايالة القديمة التي يحتلها الفرنسيون وابتداءا من الآن، فان القوافل القادمة من داخل افريقيا والتي تتوجه، في الوقت الحاضر، الى تونس، يجب ان تغير وجهتها الى عنابة أو الى مكان آخر تحتله فرنسا وتعينه بنفسها.

المادة السابعة: ان الاسلحة والبارود، وما الى ذلك من الذخائر الحربية التي يشتريها احمد باشا يجب ان تؤخذ من مصانع فرنسا.

المادة الثامنة: يستطيع الفرنسيون والاوروبيون الذين يحملون رخصة من فرنسا، ان ينتقلوا بحرية، وان يتمتعوا بحق الاقامة في المقاطعة التي يريدها الباشا. كما ان الاملاك التي يحرزون عليها تكون مضمونة، وتكون لهم فيها حرية التصرف ويلتزم الباشا بتعويض الخسائر التي قد يتسبب فيها سكان

المقاطعة التي يديرها... وبالمقابل، فان الاهالي يتمتعون بحق الاقامة في الاجزاء التي تديرها فرنسا مباشرة.

المادة التاسعة: خاصة بحرية البحث العلمي.

المادة العاشرة: لفرنسا حق اعتماد وكيل لدى احمد. وللباشا حق اعتماد وكيل لدى الجزائر.

المادة الحادية عشر: لا قيمة لهذه الاتفاقية الا بعد ان يصادق عليها الملك، وحتى ذلك الحين فان فرنسا تحتفظ بحماية قسنطينة.

المادة الثانية عشر: تسلم فرنسا الى احمد باشا حصن قسنطينة بمدافعه، وذخائره الحربية والغذائية على الوضع الذي يكون عليه عندما تتم المصادقة على هذه الاتفاقية.

المادة الثالثة عشر: يلتزم احمد باشا بان يدفع لفرنسا مبالغ 600.000 فرنك كتعويض لمصاريف الحرب".

في 26 اكتوبر1837م كان الماريشال فالي قد تلقى رد الحاج احمد باي حول مشروع تلك الاتفاقية الذي لم يحقق اية تقدم ملموس، فضلا عن عدم اتخاذه الطابع الرسمي. كما ان الباي قد ابدا اعتراضه ضد المادة الاولى، حيث انه لا يعترف باي سلطة عليه، سوى سلطة الباب العالي. كما رفض الباي رفضا قاطعا التخلي عن أي شبر من بايلكه السابق مما ادى الى افشال مشروع الاتفاقية[1]، بالاضافة الى ان فالي كان يستهدف من تلك المفاوضات ربح الوقت، اذ اننا نجده يلجا الى اسلوب آخر استعماري خسيس في محاولة لاستخدام فرحات بن السعيد لضرب الجزائريين بعضهم ببعض.

III - محاولة استغلال العداوة القديمة بين فرحات وأحمد:

عمل فالي بمختلف الوسائل والحيل على استخدام فرحات بن السعيد كسلاح لمقاتلة الحاج احمد، مستغلا بذلك استعدادات فرحات المعادية لاحمد[2]، قصد سلامة الجيوش الفرنسية، والاقتصاد في الدم الفرنسي.

(1) A.O.M. F 80. 1673. Ahmed bey.

(2) L. CH. Féraud, le Sahara de Constantine…op, cit, pp, 285-286.

كان فرحت قد عرض على الماريشال اقتراحات للتحالف معه، فطلب منه ان يعترف به كشيخ للعرب وان يمده بالجيوش لمحاربة الباي وحلفائه من ابن قانه[1].

قبل كل شيء، تجدر الاشارة الى ان اتجاه فرحات الى الفرنسيين، لم يكن بالمرة يستهدف التعاون مع العدو بقدر ما كان يرمي الى قتال الحاج احمد وبوعزيز بن قانه اللذين يعتبرهما من اكبر اعدائه. لذلك لم ينقطع فرحات عن طلب النجدة من المستعمر الذي لم يكن البتة، مطمئنا لولائه واخلاصه[2]، حتى يرسل اليه النجدة، اذ ان شخصية فرحات، التي اثارت الشك والريبة في نفسية المحتل اعرضت بالفعل عن العدو لتتجه نحو الامير عبد القادر[3].

وللتخلص من فرحات بن السعيد، وابن زكري شيخ قبيلة اولاد عبد النور واحد أنصار فرحات، وضع الباي مكافاة لمن يقتلهما[4]. وحدث بعد ذلك، ان التقى الباي بفرحات بالصحراء القسنطينية في معركة، رجحت فيها الكفة لصالح الباي[5].

ان هزيمة فرحات، قد جعلت منه يتجه الى الامير عبد القادر الذي اسند اليه منصب الخليفة على قبائل الصحراء ولكن سي حسان بن عزوز (خليفة الامير) الذي استطاع ان يلاحق الحاج احمد واتباعه من ابن قانه، تمكن من افتكاك لقب خليفة الامير من فرحات. لكن عدم استطاعة ابن عزوز في عام 1839م، القضاء على سلطان ابن قانه بالصحراء، جعل من الامير يعوضه هو الآخر، عام 1841م بمحمد الصغير بن احمد بالحاج من عائلة مرابطية بسيدي عقبة، في حين القي القبض على ابن عزوز بمسيلة من طرف المستعمر، حيث تم نفيه الى جزيرة سانت مارقوريت[6]. وهكذا كانت

---

(1) مذكرات الحاج احمد باي, نفس المصدر, ص ص 80 – 81, انظر كذلك:
Correspondances du maréchal Valée… op, cit, pp, 14, 15, 62, 63.

(2) J. Serres,OP.cit., p.185.

(3) Correspondances du maréchal Valée op.cit., p296

(4) A.O.M., 1H4 Corps d'occupation de constantine. Journal de l'occupation A. mois de novembre 1837.

(5) مذكرات الحاج أحمد باي، ص 81، أنظر كذلك.أ.مرسيي نفس المرجع، ص 455.

(6) A.O.M., 1H4, Constantine, le 13 Juin 1844. le duc D'orléans au Gouverneur général.

الصحراء تعج بالصراعات العرقية، من جهة والتطاحن على العرش من جهة اخرى، مما ساعد – دون شك – الاستعمار الفرنسي على تزكية نيران الفتنة بين الاخوة اكثر من ذي قبل وتركيز الاحتلال بالمنطقة.

اثناء ذلك رفع الباي احمد شكاوي جديدة الى السلطان محمود الثاني، فقد بعث له برسالة مؤرخة في شوال 1253هـ الموافق ل 16 جانفي 1838، تحوي العبارات التالية: "لقد قبلنا بصير هذا الحكم الذي اراده الله وفي انتظار مجيء الدعم للامة الاسلامية قصد التخفيف من آلامها، كان قد سحب معنا عدد كبير من المسلمين الذي انضم الينا، تاركا وراءه أحبابه وأملاكه. كما اضاف ايضا في نفس الرسالة قائلا: "إن فكرتنا هي الدفاع عن الدين واستكمال واجبنا، ومما يبرر هزيمتنا هو استمرارنا على الاخلاص والطاعة لمولانا السلطان"(1). لكن لم يصله أي رد من طرف السلطان.

IV ـ استئناف المفاوضات مع الباي:

كان الخليفة السابق ابن عيسى الذي دافع عن احتلال قسنطينة ببسالة وشجاعة نادرين، قد استسلم الى فرنسا في 1838م(2)، واعتبرت السلطات الاستعمارية ان هذا الاستسلام قد تنجم عنه معطيات كثيرة، ربما تكون ايجابية بالنسبة للاستعمار، خاصة فيما يتعلق باستخدام ابن عيسى كواسطة للمفاوضات لحمل الباي على الاستسلام، ذلك ان استدعاء احمد يعني اعطاء حل عاجل لكل المشاكل التي تطرا بهذه المقاطعة المترامية الاطراف في الصحراء(3)، لكن ابن عيسى - فيما يبدو- قد آثرعدم القيام بهذه المهمة لاسباب مجهولة(4).

ان المشكل الذي طرح لاستئناف المفاوضات مع الحاج أحمد، هو ان إعادة تنصيب الباي، يعني تقويض النظـام الاستعمـاري والسياسي والاداري

---

(1) A. Temimi trois lettres de hadj Ahmed…op. cit . p, 149 lettres du 19 chewel 1253(16) janvier 1838.

(2) correspondances du maréchal Valée … op cit Alger le 23 février 1838.

(3) Idem Alger le 2 mars 1838. p 279.

(4) idem, p, 283.

الذى تبناه المستعمر، منذ سنة بالمقاطعة[1]. هذا النظام الذي كان يعتمد على إبقاء ولاء الاسر الكبرى القسنطينية لفرنسا، الامر الذي لايمكن ان يسمح بعد اصدار المرسوم المؤرخ في 30 سبتمبر 1838م، من طرف فالي- الذي كان نقطة انطلاق العلاقات الفرنسية بالعائلات الكبرى بالبايلك- بتنصيب احمد من جديد. ولكن استئناف تلك المفاوضات يستهدف منها، خاصة اخضاع الباي، "ذلك ان اعادة السلطة لاحمد، التي انتزعناها منه كما كتب فالي الى وزير الحرب – يعني الدخول في نهج آخر يختلف عن ذاك الذي اتبعناه"[2].

غير ان حكومة الملك لويس فيليب, طلبت من فالي استئناف المفاوضات مع الباي احمد، وانما على الشروط التالية:

أولا: تظل قسنطينة محتلة من طرف القوات الفرنسية...

ثانيا: تمارس الادارة الفرنسية عملها على الشريط الساحلي.. في حين يمكن ان يكلف احمد بادارة البلاد ابتداء من مدجانة إلى غاية جرجرة و من جبال بجاية الى غاية الصحراء

ثالثا:... لفرنسا الحق وحدها في تنصيب أو عزل رؤساء الاهالي، وبامكان كذلك السكان ان يرفعوا شكاويهم للسلطة الفرنسية..

رابعا: ... يفرض على الحاج احمد الخضوع لفرنسا وتقديم الضريبة...

خامسا: ... منع أي اتصال مع الخارج بالنسبة لاحمد، في حين يسمح للفرنسيين حرية التنقل المطلقة، كما يمنع شراء الذخيرة الحربية الا من فرنسا..[3]

---

(1) Idem., p.279
(2) Idem., p.284
(3) A.O.M. F 80, 1673. Ahmed Bey.

كان الماريشال فالي الذي درس هذه الشروطة الجديدة على احمد من طرف حكومة الملك في 19 افريل 1838م، قد بدت له قاسية على الباي، حيث تضعه في مكانة ادنى من التي يحظى بها الامير، هذا فضلا على ان الصلح مع احمد اصبح امرا مستحيلا. ذلك ان الباي لا يمكن له ان يقبل بمثل تلك الشروط, بل سيفضل المحافظة على حرية العمل التي يتمتع بها آنذاك(1)

ومهما يكن من امر فان تلك الاقتراحات لم يرسل بها للباي، ذلك ان اعادة تنصيب الحاج احمد باي ببايلك الشرق الجزائري وتقديم تنازلات له، سيورط فرنسا في مزالق سياسية خطيرة. كما ان فرضية إعادة هذا التنصيب قد يجعلها لا تطمئن لولائه واخلاصه(2), لان الباي ظل باستمرار وفيا للباب العالي.

كل هذه الاعتبارات دفعت بالماريشال للتخلي عن مشروع هذه المفاوضات، حيث كتب الى احمد، قائلا: "ان الله قد قضى أن تطرأ أحداث كبرى بالبلاد، وينبغي ان تدركوا اليوم انه غير ممكن اعادة السلطة السابقة لكم، كما لا يمكنكم الدخول الى المقاطعة. وها انا اقترح عليكم ما يلي: اقدموا الى الجزائر العاصمة مع كل عائلتكم، فسوف استقبلكم... وسوف تعاملون بشرف واذا اردتم زيارة فرنسا، سيكون استقبالكم احسن استقبال، و فيما بعد سوف يرى الملك، اذا كان بامكانه اعادة تنصيبكم من جديد. اما الآن فلا يمكن"(3).

وهكذا يتضح لنا ان تلك المفاوضات التي كانت عبارة عن مراوغات والتواءات مع احمد، لم يكن يستهدف المستعمر من خلالها، سوى التخلص من الباي الذي كان يشكل خطرا على الوجود الاستعماري بالمنطقة والذي مانفك يواصل الحرب والمقاومة بكل ما يملك من وسيلة أو قوة قصد تحرير الوطن من براثن الاستعمار.

(1) Correspondances du Maréchal Valée…op.cit., Valée au Ministre de la Guerre. Alger. Le 7 Mai 1838. voir pp.356-357.

(2) Idem., II (juin-Décembre 1838), Paris, 1850, Valée au Ministre de la Guerre, Alger le 8 juin, pp.20-21 voir aussi, lettre du Consule de France à Tunis, le 17 aout 1838, pp.200-201.

(3) A.O.M.f 80, 1673, ahmed bey.

الفصل السابع

I - حث السكان على الجهاد

II - نهاية الحاج احمد بـــاي

بالرغم من اسلوب التفاوض الذي تبناه الماريشال فالي قصد حمل الباي احمد على الاستسلام، وبالرغم ايضا من الحالة الماساوية التي كان يعيشها هذا الاخير، فلم يكن يرضى بحياة الذل والمهانة، بل كان يعمل على تنظيم نفسه وتعبئة القبائل لمواصلة الجهاد ضد المستعمر: "وفي الحين فكرت في محو الهزيمة لان الله لا يضيع كليا الا الذين يهملون انفسهم"[1]... ذلك كان قرار الباي، أي مواصلة الكفاح ضد العدو الفرنسي حتى تحقيق النصر.

I ــ حث السكان على الجهاد:

في شهر مارس 1838، حاول احمد الاقتراب من مدينة قسنطينة حاثا القبائل على الجهاد، فسارع الجينرال نيقريي للخروج في حملة عسكرية لمقاتلة الباي، لكنه عندما يئس من ملاحقته وخشي العواقب الوخيمة التي قد تنجم عن تلك الحملة، بعث اليه برسالة جاء فيها ما يلي: "انك تحاول اثارة الجماهير..وعليه ينبغي ان اقاتلك اينما وجدت.. ان استسلامك الكلي، يمكن وحده، ان ينقذك من الهلاك... وليس لك الا ان تثق في شرف فرنسا.. بهذا الشرط اضمن لك الامن ولعائلتك واملاكك"[2]

لقد انتظر الباي مدة من الزمن بصبر وامل، وصول النجدات من الباب العالي الذي عاد في وضعية لايحمد عقباها. وفي خلال شهر سبتمبر بدا الحاج احمد يتحرك ويعمل على ايقاظ شعور القبائل ومحاولة تعبئتها للنهوض كتلة واحدة ضد المحتل[3]، حيث انتهى في تحركاته الى غاية الحدود التونسية من مدينة الكاف، آملا في توحيد القبائل لشن هجوم شامل على العدو بمدينة قسنطينة[4]، تمكن من جلب قبيلة عامر الشراقة اليه، واولاد زواوي[5] واولاد عبد النور والزواوة و بني هارون[6]، لكن في تلك الظروف العصيبة التي كان فيها الباي يحاول جمع الشمل، يتخلى عنه اقرب مقربيه، بوعزيز بن قانه

(1) مذكرات الحاج أحمد باي، نفس المصدر، أنظر، ص 76-77.
(2) Correspondances du mréchal…op ! cit.. lettre du général Négrier à El-Hadj Ahmed Bey, le 19 mai 1848,..460 : voir aussi. A.O.M.,F8,..673, Ahmed Bey.
(3) A.O.M. 8 H3 Histoiques des tribis du cercle de Constantine, 1854.
(4) A.O.M., F80,1673, Ahmed Bey.
(5) A.O.M. 8h3, op cit;
(6) A.O.M. 10h11 origine et historique des o Abdel nour.

الذي استسلم لفرنسا في نهاية شهر ديسمبر من نفس السنة وكان هذا الاستسلام بالنسبة للعدو فرصة له من اجل النفوذ الى داخل الصحراء[1].

ولعل السبب في تخلي ابن قانه عن الحاج احمد هو ما ذكره هذا الاخيرفي مذكراته "عندما طلب من باي تونس السماح لاعوانه بشراء القموح من هناك، لانها كانت تباع باسعار منخفضة، ولكن الرجال الذين ذهبوا الى تونس لم يتصرفوا كما ينبغي. لقد اتبعوا نصيحة مفسدة اعطاهم اياها بوعزيز ابن قانه. فنسوا انهم لم يكونوا سوى ضيوفا على هذا البلد وانهم فيه محظوظون ومخصوصون بالاولوية...اما بوعزيز فقد كانت نيته عندما اعطى نصيحة في مثل ذلك الخبث، ان يثير علي باي تونس. لقد كان يريد الاجهاز علي لياخذ ما كنت املك"[2] هذا- فيما يبدو- السبب المباشر الذي ادى الى تخلي ابن قانه عن أحمد.

كانت المناوشات التي يقوم بها الحاج احمد باي من حين لآخر على الحدود التونسية قد ازعجت كثيرا باي تونس، في حين باتت السلطات الاستعمارية تخشى ثورة شاملة بقيادة الباي احمد ضدها. لذلك ما فتيء باي تونس يعرض عليه اللجوء الى تونس واستقباله كاخ شقيق، لكن احمد رفض ذلك شاكرا له حسن عواطفه اتجاهه. وحسب ما يذكر الحاج احمد في مذكراته "ان باي تونس كان ينوي الاستقلال عن القسطنطينية ويخشى ان يدعوني- احمد- الباب العالي لاستبداله", كما ان وزير الحربية الفرنسي قد تخوف ايضا من تطور الاحداث على الحدود التونسية من جراء وجود احمد هناك، الامر الذي دفعه في اكتوبر عام 1838م الى مضاعفة العمل السياسي بتونس عن طريق القنصل الفرنسي هناك قصد احباط كل تحركات الباي محاولا حمل باي تونس على ابعاد الحاج احمد عن الحدود[3]، بل ان حكومة الملك لويس فيليب شجعت باي تونس منح الباي احمد حق اللجوء، ولكن بشرط ان يظل هادئا ودون تحرك أو تحريض للتجمعات العسكرية أو تشجيع ارسال الاسلحة والذخيرة أو القيام بمراسلات معادية لفرنسا...،

---

(1) S. Ferkous, op cit, p 79.

(2) مذكرات الحاج احمد باي) نفس المصدر ص 83-84 وما بعدها.

(3) Correspondances du Maréchal Valée, op;cit:, lettre du Ministre de la guerre au Ministre des affaires indigènes, Paris, le 24 Octobre 1838, p.246.

محملا في الوقت نفسه الحكومة التونسية مسؤولية ذلك[1]. غير ان تلك المحاولات، قد باءت بالفشل وظل الباي احمد يسعى لاستقطاب القبائل الحدودية واثارتها على العدو[2].

أثناء ذلك كان الامير عبد القادر- حسب ما جاء في تقرير الجينرال قالبوا الذي بعث به إلى الحاكم العام بالجزائر بتاريخ 26 اوت1839، قد حاول جلب الباي اليه لتوحيد المقاومة الشعبية ضد المحتل: "انني الجينرال قالبوا متاكد جدا ان الباي احمد قد بلغته رسالة من الامير عبد القادر، يدعوه فيها الى الوحدة ضدنا؛ ولكن الباي لم يكن فيما يبدو مستعدا لذلك، فكان يكره الامير ويغار منه[3]..

لا شك ان المستعمر استطاع ان يستفيد من هذا الشقاق والنزاع بين الاخوة وتجزئة المقاومة، اذ اخوف ما يخافه هو تحقيق تلك الوحدة التي ستعجل لا محالة بنهايته من البلاد، لذلك نجد فرنسا لم تدخر أي جهد في وسعها لتعميق الهوة بين الطرفين.

وفي خضم تلك الاحداث، عمل الحاج احمد على تحريك اولاد بوعزيز الذين ثاروا على العدو الفرنسي عام 1839م. هذه الثورة التي جهزت لها فرنسا حملة ضخمة لقمعها، تتكون من 1200 جندي[4]. كما حاول الباي ايضا دفع انصاره من العناصر والشخصيات البارزة، من ذلك، خليفته في السابق، ابن عيسى، وآغا مدينة القالة احمد بنو الحملاوي، وابن عطار قائد ميلة، و قائد الساحل، ابن زرقين وعناصر اخرى ذات تاثير ونفوذ بالبايلك, الامر الذي اقلق كثيرا السلطات الفرنسية وجعلها تحسب حسابا كبيرا لحركة هذا الباي[5]. هذا في الوقت الذي بدا فيه رؤساء بعض القبائل الاخرى يثيرون شكوكا في نفسية المستعمر حول اخلاصهم له نتيجة اتصالاتهم بالباي[6].

---

(1) A.O.M., F80, 1673, Paris, Le 15 juillet 1839.
(2) Idem Rapport du Maréchal Valée au Ministre de la guerre, Alger le 6 Avril 1839.
(3) A.O.M., 1H 4 Rapport du général Galbois au gouverneur général, Constantine, le 26 Aout 1839.
(4) T.E.F. année 1839. p. 3.
(5) A.O.M, F 80. 1673. ministère de la guerre.
(6) A.O.M. 1 H 4 Constantine le 30 juin 1839.

سعى أحمد باي كذلك الى تنظيم قبيلة الحراكته وتعبئتها – في الوقت الذي كانت فيه الحرب على اشدها بين الامير وفرنسا- للانقضاض على العدو، لكن السلطات الاستعمارية قد شنت حملة عسكرية واسعة على تلك القبيلة في ربيع 1840، حيث كان الجينرال قالبوا قائدها فاتت على الحرث والنسل مستولية بالقوة على حوالي 80.000 راس من الماشية(1). وبالرغم من المرض الذي اصابه، استطاع احمد ان يسترجع جزءا هاما من القطعان التي استولى عليها المحتل.(2)

خلال شهر اكتوبر 1841م، كان الحاج احمد قد تعسكر بسهل طاقة على بعد 25 ميل من مدينة قسنطينة، استعدادا لشن حملة على العدو. جمع قوات هائلة تقدر بالف فارس وعدد كبير من المشاة، علمت السلطات الاستعمارية بذلك فجهزت قواتها تحت قيادة الجينرال نقريي وخرجت في طابور ضخم دارت المعركة بين الطرفين على اشدها، قتل فيها تسعة جنود من قوات المستعمر وجرح 28 من بينهم ثلاثة ضباط في حين نهب العدو واخذ من المواشي عددا كبيرا(3). اما الباي فقد انسحب، بعد ذلك، الى الاوراس لاعداد العدة، حيث استقر بين اولاد سلطان الذين لم تستطع يد الاستعمار ان تمتد اليهم. هناك مكث الباي سنة ونصفا، التقى خلالها بابن فرحات بن السعيد،علي باي، حيث عرض عليه ان يبقى معه، لكن هذا الاخير اعتذر بحجة انه كان قائما على والدته واخوته(4).

في نهاية سنة 1843، تم تعيين الدوق دومال لقيادة مقاطعة قسنطينة، فركز العمل لوضع حد لمقاومة الحاج احمد التي ارهقت القوات الغازية وعكرت عليها صفو الحياة وجو الاطمئنان. انطلقت المعركة بين الطرفين بالاوراس في ربيع سنة 1844م(5)، حيث استطاع الباي ان يباغت العدو فينقض عليه(6)، في حين تخلى الدوق عن المعركة وسارع للالتحاق بمدينة

---

(1) p. de Reynaud, annales algérienne, T, II, paris, 1854, voir pp, 414-415.
(2) مذكرات الحاج احمد باي، نفس المصدر، ص ص 88-89.
(3)A.O.M. , 1 H 4 année 1841, résumé de la correspondance d'Afrique pondant l'année 1841.
(4)L, CH, Féraud, le Sahara de Constantine… op. cit. pp 344-345.
(5)P, de Reynaud, op. cit. T, III, voir, p 121.voir aussi, E. mercier, op. cit. p, 500.
(6)A.O.M. 1 H 3 Alger le 8 mars 1844.

بسكرة ذلك ان خليفة الامير عبد القادر احمد بالحاج قد هاجم الحامية الفرنسية المقيمة هناك(1)، محدثا بها خسائر كبيرة في الارواح والعتاد.

كانت قوات الباي-آنذاك- تشتمل على 700 فارس من اولاد سلطان الذين خاضوا معركة في منتهى الضرارة والشدة "حتى انني -الباي- استطيع القول بانها ادمى معركة حضرتها في حياتي، ويعلم الله كم معركة شاهدتها منذ طفولتي، وكان الفرنسيون قد شكلوا طوابير ليصلوا الى قمة الجبل، ولكن نشاطنا كان متزايدا بحيث انهم عندما وصلوا الى منتصف المنحدر كررنا عليهم بشدة وعنف، فأرغمناهم على العدول عن خطتهم والرجوع الى مركزهم. فكانت اضرارهم شديدة وخسائرهم كبيرة"[2].

ولمضاعفة المقاومة كثف احمد باي اتصالاته من جهة اخرى بعناصر بارزة ذات تاثير ونفوذ بالبايلك، من ذلك مثلا، وكيل الباي السابق ابن قشي،[3] والميهوب، شيخ زاوية طولقة، وغيرهما،[4] هذه الاتصالات كانت تستهدف البحث عن مخرج للتخلص من هذا الاستعمار الغاشم. كما كان في تلك الفترة، الكثير من قبائل الجنوب القسنطيني، قد اعطت ولاءها ومساندتها المطلقة للباي ضد العدو، مما ادى الى تفاقم الوضع وتخوف فرنسا من اندلاع ثورة شاملة. لذا قام الجينرال بيدو الذي خلف الدوق دومال في ماي 1844م، باعداد حملة عسكرية ضخمة وهاجم على حين بغتة القبائل حليفة احمد وهي على التوالي: قبيلة اولاد داوود، اولاد عبدي واولاد وودجانة[5].

اصبح – عهدئذ –وضع المستعمر عصيبا للغاية ووجوده بالبلاد عسيرا الى ابعد الحدود وليس له من مخرج من الانتحار وسط هذا البركان الذي يضطرم نارا سوى الانسحاب والاعتراف بسيادة الامة. لقد تعددت الثورات وتوالت بمختلف انحاء القطر، رافضة الاحتلال، فكانت ثورة الامير على أشدها وثورة بومعزة وسعد التيباني وثورة مولاي أو محمد،[6] وغيرها من

(1) Bou Aziz Ben Ganah, le Cheikh el arabe, étude historique sur la famille de Ben Ganah, Alger, 1930.

(2) مذكرات الحاج احمد باي, نفس المصدر, ص ص 92-93.

(3) A.O.M. 2H26

(4) Idem

(5) F 8 0 493 Constantine, le 75 mai 1945. au 15mai 1847..

(6) A.O.M. F80 - 493, cercle de Sétif, rapport de la 2eme quinsaine du juin 1846 ; voir aussi F80 – 494 cercle de …. , Constantine, Sétif, rapport de la 1er quinsaine de janvieer 1847, et F80 – 510 cercle de Sétif et de Constantine, rapport de la 2eme quinsaine d'avril 1847.

الثورات الاخرى. في حين بات المستعمر يتخوف من اندلاع ثورة عارمة يقوم احمد بتفجيرها. لقد ظلت قبائل كثيرة من الشمال والجنوب القسنطيني محافظة على علاقاتها به[1]، خاصة بعد ان اكتشف العدوالفرنسي ان كثيرا من اعيان قسنطينة ورؤساء العائلات الكبرى، امثال بوعكاز بن عاشور، وابن عز الدين بمنطقة الزوارة، وقائد مدينة عنابة سابقا، محمد بن يعقوب على صلة بالباي.[2] هذا في الوقت الذي روجت فيه قبيلة النمامشة الدعاية للثورة ضد الاحتلال، حول امكانية تدخل القوات التركية ببايلك الشرق، حيث أثار إعلان هذا الخبر شعور الناس وزاد من سخطهم على الاستعمار[3].

ان شيخ فرجيوة بوعكاز بن عاشور الذي – كما اسلفنا الحديث عنه،[4] كان من اخلص رجال الباي احمد حيث وقف معه جنبا الى جنب عندما تعرضت مدينة قسنطينة للغارتين الفرنسيتين، الاولى والثانية 1836-1837، ودافع عن احتلال المدينة- ان هذا الشيخ المحافظ والملتزم بتعاليم الدين الاسلامي[5]، ظل ينتظر ويتابع باهتمام بالغ المقاومة الشعبية التي يقودها كل من الامير والحاج احمد بطلا القضية[6] الوطنية.

لقد كان عطفه تجاه بايه كبيرا، لم يفقد الامل في عودته وانتصاره،[7] ولم يكن يرضى التفاوض مع المستعمر أو زيارة قسنطينة بالرغم من الحاح المستعمر الشديد عليه. كان يحاول يوما بعد يوم، التخلص من السيطرة الاستعمارية،[8] مما جعل الضباط الفرنسيين لايهدؤون ولايرتاحون للحالة التي كانوا عليها والتي جعلتهم قليلي التفاؤل بمستقبل يهيء لهم المكوث بالمستعمرة.

---

(1) L. CH, Feraud op , cit. P. 390
(2) A.O.M. ; F80, 493, cercle de Constantine, rapport de la 1° quinzaine de janvier 1846.
(3) A.O.M. ; F80, 493, cercle de Constantine, rapport de la 1° quinzaine d'août et de septembre 1845.
(4) انظر فصل سياسة الباي تجاه العائلات الكبرى, ص 51.
(5) A.O.M. 10 H 56, Ahmed bouakkaz achour.
(6) L. CH. Féraud. Ferdjioua et zouar'a… op. cit. ; p ; 103.
(7) A.O.M. 2 H 21, Constantine, le 25 avril 1849, lettre de général commandant supérieur de la province de Constantine de salles au gouverneur général.
(8) L. CH. Féraud. op.cit, p 101

اما عائلة ابن عز الدين بقيادة الاخوين الشيخ محمد وبوزيان، فقد وقفت موقفا معاديا لفرنسا، وظلت علاقة هذين الرجلين بالحاج احمد مستمرة، في انتظار اندلاع ثورة شاملة[1] في حين لم ينقطع قائد مدينة عنابة عن تحريض القبائل على الثورة ضد المحتل[2]، فكان العدو اللدود لفرنسا التي قامت بعزله من منصبه في اكتوبر [3]1845م.

ومهما يكن فان احمد باي لم يفشل في محاولة تعبئة القبائل ومواصلة الكفاح ضد المستعمر، بالرغم ايضا من الحالة المزرية التي كان يعيشها، من عدم الاستقرار والمعاناة اليومية.

كان ضباط المكاتب العربية –آنذاك- قد كلفوا من طرف السلطة العليا بمتابعة تحركات احمد واتصالاته[4]. هذا في الوقت الذي سارع فيه النقيب بواسوني –رئيس ادارة الشؤون العربية بقسنطينة- لاخطار حكومته عن وصول رسائل من سلطان القسطنطينية... تبشره باعادة تنصيبه كباشا للجزائر، مشجعة اياه على اعلان هذا الخبر بين العرب المخلصين له،[5] الا ان تركيا لم يكن بامكانها ذلك ولا تستطيع ان تفعل شيئا، سوى تقديم بعض الوعود للباي.

بدأت السلطات الاستعمارية تعمل اكثر من ذي قبل للقضاء على مقاومة الحاج احمد الذي بات وجوده بالاوراس يهدد كيانها الاستعماري وفي هذه المرة، تم اكتشاف شبكة من الاتصالات واسعة النطاق كانت بين الباي وبعض الشخصيات القسنطينية المثقفة وغيرها، لاعداد العدة للانقضاض على العدو. من بين تلك العناصر: المفتي المالكي، سي الحاج مبارك، المفتي الحنفي، ابن فتح الله، وكيل بيت المال، سي علي بن النوي...الخ[6]، الامر الذي دفع بالمستعمر الى الضرب بعنف لتهدئة الراي

---

(1) Idem. p. 242.
(2) A.O.M. 1 KK 2, rapport du 29 décembre 1845. (N°50).
(3) Capitaine Mairot, op. cit. p. 395.
(4) A.O.M. F80-493. cercle de Constantine, rapport de la 1ère quinzaine de juin et de la 2° quinzaine d'août 1846
(5) A.O.M F80-494. cercle de Constantine, rapport de la 1ère quinzaine de mars 1848.
(6)A.O.M. F 80-495, cercle de Constantine, rapport de la 1ère quinzaine mai 1848

العام الشعبي الثائر ضد الاحتلال[1]. ذلك ان القبائل، كانت تنتظر اللحظة الحاسمة لتفجير الثورة، خاصة ان فرنسا تمر -آنذاك- بظروف سياسية صعبة للغاية اثر سقوط حكومة الملك لويس فيليب سنة 1848م،[2] واندلاع ثورة البلازمة بضواحي مدينة باتنة، حيث اوضح تقرير المكتب العربي بمدينة بسكرة في نهاية افريل وبداية ماي من نفس السنة ان الحاج احمد باي دعم تلك الثورة محاولا، في الوقت نفسه استقطاب عدد كبير من رؤساء الاهالي للمشاركة في تلك الثورة[3] التي لم يزد قمعها من طرف المستعمر سوى تصميمها على مواصلة الجهاد حيث تلتها مباشرة اعظم ثورة هي ثورة الزعاطشة التي زج فيها العدو بكل ما عنده من قوات، ولكن لم تكن النهاية، فالمقاومة ظلت مستمرة.

نهاية الحاج أحمد:

شعر الاستعمار الفرنسي بقوة هذا الرجل و صلابته في الدفاع عن دينه ووطنه، لذلك سخر كل ما عنده من عدة وعتاد لوضع نهاية لمقاومة هذا القطب. كان احمد باي -وقتئذ- مقيما بالاوراس، ولقد بات من الصعب استسلامه للسلطة الاستعمارية. لذلك حاصرت القوات الفرنسية من مختلف الجهات بلاد الاوراس طيلة شهر ملي وبداية جوان عام 1848. كان العقيد كونروبار والنقيب سانت - جارمان يشرفان على تنفيذ العمليات العسكرية، في حين تعسكر النقيب ديبوسكي بالزاب الشرقي ما بين وادي منصف وزريبات الوادي. في تلك الفترة، لم تكن حالة الباي الصحية والعسكرية تسمح له بمواصلة الكفاح، بالاضافة الى ان معظم القبائل هناك قد حوصرت حصارا شديدا فلم يعد بمقدورها مؤازرته أو حمايته، فاضطر ، بذلك الى طلب الامان مذكرا السلطة الفرنسية بسمو معاليه في السابق من اجل ان يعامل بشرف. وتم استسلامه يوم 5 جوان من نفس السنة[4].

---

(1) A.O.M 1KK 8 12 mai 1848, N° 88, lettre au gouverneur général.
(2) S. Ferkous, op. cit. voir pp 244-246.
(3) A.O..M F80. 510, cercle de Biskra, rapport de la 2e quinzaine d'avril et de la 1er quinzaine de mai 1848.
(4) A.O.M. 10 H 76. rapport du 7 juin 1848, du commandant St germain sur la reddition de l'ex Bey de Constantine, voir aussi, A.O.M. 6 H 26. Constantine le 10 juin 1848, et 10 H 7, historique de Batna en 1848.
انظر كذلك جريدة المبشر بتاريخ 30 جوان 1848 عدد 20.

لقد وضع الحاج احمد شروطا مقابل انهاء الحرب مع الفرنسيين وهي استرجاع املاكه وثرواته ثم السماح له بالسفر الى بلد اسلامي: "جئت -الباي- الى الفرنسيين راضيا تحدوني ارادة صادقة في وضع حد للحرب الطويلة التي ظلت قائمة بيني وبينهم، وذلك بابرام اتفاق متين وامان مشرف"[1]. لكن فرنسا لم تحافظ على وعودها بل ظلت تعد الجزائريين المسلمين وتمنيهم وما تعدهم الا غرورا. ذلك ان الاستعمار الذي هو رجس من عمل الشيطان لا يخلف اصوله ولاينس عوائده، حيث ان طالب الاحسان منه كطالب النسل من العقيم.

اثر استسلامه مكث الباي بمدينة بسكرة تحت مراقبة السلطة الفرنسية مدة يومين، ثم نقل في اليوم الثالث الى مدينة قسنطينة: "وفي اثناء الطريق استحوذت -أي الباي- علي أفكار متعددة: انني اذهب بلا املاك ولاقوة الى المدينة التي رأتني سيدا في أوج عزتي وحيث مارست سلطة السيادة، ولكن الله كيف نفسي وتجلت ارادته. وأي انسان يستطيع الافلات من ايدي القدر فسبحان الله وجل جلاله".(2)

عندما اقترب من مدينة قسنطينة، خرج اكابرالمقاطعة لاستقباله(3)، في حين ذهبت السلطات الاستعمارية الى القاء القبض على كثير من الاهالي، لما ابدوه من عطف أو شعروا به من واجب تجاه بايهم.(4)

ولتهدئة الخواطر(5)، سارع المستعمر الى نقل الباي من مدينة قسنطينة الى الجزائر العاصمة(6). لان مشاعر الناس كانت تتطرم غلا وحقدا وسخطا، رافضة الوجود الاستعماري، الامر الذي دفع بالجينرال دي صال قائد مقاطعة قسنطينة، الى ابعد من ذلك وهو الحاحه الشديد على نفي الحاج احمد الى فرنسا(7)

(1) مذكرات الحاج احمد باي, نفس المصدر ص 99.
(2) نفس المصدر, ص 100.
(3) نفس المصدر, ص 100 و هامش ص 101.
(4) A.M.G. 1 H 126. Rapport fait eu ministre de la guerre le 7 juillet 1848.
(5) A.O.M. F.80- 495 cercle de Bône, rapport de la 2° quinzaine de juin 1848.
(6) جريدة المبشر, الجزائر, 15 شعبان 1264ه الموافق ل 15 جويلية 1848 عدد 21.
(7) A.O.M. 2 H 21. Constantine, le 25 avril 1849, lettre du général de salles au gouverneur général

أثناء ذلك تازمت الوضعية اكثر من ذي قبل، عندما اندلعت ثورة الزعاطشة سنة 1849م، التي غيرت زعم فرنسا واعتقادها بان القضاء على مقاومة الحاج احمد بالصحراء والاوراس، قد تم اخماد كل ثورة أو حركة بالمنطقة، في حين اشارت اصابع الاتهام الاستعماري الى الباي، على انه كان من المنظمين والمشجعين لتلك الثورة قبل استسلامه، لقد كتب النقيب مارميي رئيس المكتب العربي بباتنة قائلا: ...لقد ترك انصارا كثيرين -أي الباي احمد- ولاتزال هناك ايضا عناصر اخرى يتزايد نشاطها، لقد كان في السابق يتردد على زيارته سكان الواحات، اليس هو الذي دفعهم الى الثورة...؟(1) كما ذكر العقيد هربيون في احد تقاريره المتعلق بالثورة انه بعدم اعدام بوزيان، قائد حركة الزعاطشة، تم اكتشاف وجود مراسلات بين هذا الاخير والباي(2)، مما يبين ان احمد كان -فيما يبدو- من بين الذين اعدوا لتلك الثورة.

وهكذا بالرغم من الوعود التي قدمت له من طرف فرنسا، فقد اجبر الحاج احمد باي على الاقامة جبريا بمدينة الجزائر تحت رقابة المستعمر، دون تحقيق أي وعد منها، فلقد راسل احمد النقيب دي نوفو، مدير الشؤون العربية بقسنطينة، طالبا منه السهر على جميع ثرواته وامتعته(3)، التي تركها اثر احتلال قسنطينة(4). كما كاتب الحاكم العام شانري حول هذا الموضوع بتاريخ 2 مارس 1850م(5)، ولكن دون جدوى، اذ اعتبرت السلطة الفرنسية ان الاستجابة لمطالب الحاج احمد، ستكون لها انعكاساتها السلبية على السياسة الاستعمارية. لذا خصصت له منحة سنوية لسد حاجاته ومصاريفه الضرورية(6)، الى غاية وفاته عام 1850.(7)

---

(1) A.O.M., 2 H 25. cercle de Batna, rapport de la 2° quinzaine de juillet 1849.
(2) A.O..M H 131. rapport du 14 mai 1850.
(3) A.O.M. 6 H 26. Deux lettres inédit du hadj Ahmed bey envoyées au capitaine de Neveu, la 1er datée du 8 chabân 1264/ 10 juillet 1848. la 2° datée du 30 ramadhan 1264/ 1er septembre 1848
(4) (انظر الوثيقة رقم 3)

(5) انظر الوثائق رقم 5 المتعلقة بثروات و أمتعة الباي
(6) A.O.M. 1 H 6 lettre du hadj Ahmed bey au gouverneur général en date du 17 Rabiah athiani 1266/ 2 mars 1850. (انظر الوثيقة رقم 6)

(7) A.O.M 1 HH 14-19 août 1848 n°135, au sujet des réchamationdel'ex-bey Ahmed voir aussi A.O.M F.80-1673. El hadj Ahmed bey.

تلك هي النهاية المأساوية التي آلت اليها تلك الشخصية التاريخية في ملحمة المقاومة الجزائرية بعد جهاد طويل وشاق دام حوالي ثمانية عشر سنة من احتلال الجزائر العاصمة[1].

---

(1) يوجد ضريح الحاج احمد باي إلى يومنا هذا داخل زاوية سيدي عبد الرحمن بالجزائر العاصمة.

الخلاصة

ان شخصية الحاج احمد باي قسنطينة، لا تزال تطرح تساؤلات اخرى للبحث والتنقيب: الى أي حد تمكن الباي من تكوين حكومة قوية استطاعت ان تثبت لمدة طويلة في وجه المستعمر؟ - هل ان المقاومة التي قادها الباي ضد المستعمر استطاعت ان تعبيء كل طاقات الجماهير؟ ما هي مسؤولية الحاج احمد في عدم تبني استراتيجية موحدة بينه وبين الامير لتوحيد الجهاد ضد الاستعمار الصليبي؟

قبل كل شيء يمكن القول ان بايلك الشرق الجزائري في عهد هذا الباي قد عرف الاستقرار والهدوء، نسبيا، وذلك بالقياس الى العهود السابقة، اذ استطاع الباي ان يؤكد جدارته بالداخل والخارج، وظلت الرعية في ظل الحكومته، تتمتع بالعيش الكريم وتشعر بالراحة والاطمئنان. لكن هذا لا يعني ان سياسته الداخلية، كانت تخلو من عيوب خاصة فيما يتعلق بالصراع الدموي الذي استمر قائما بين الاخوة نتيجة تقريب البعض وابعاد البعض الآخر كما هو الشان بالنسبة لابن قانه واولاد بوعكاز بالصحراء القسنطينية.

ومع ذلك، فان تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، يشهد لهذا الباي بصموده وكفاحه الطويل، حيث شارك بكل ما لديه من قوة وعتاد ضد احتلال الجزائر العاصمة عام 1830م، كما ظل الحصن القوي والدرع المتين ببايلك الشرق يقود المقاومة بكل ضراوة وشجاعة.

ان تصميم الباي احمد على مواصلة الجهاد، ينبع من اقتناعه وايمانه بالدفاع عن الدين الاسلامي. لذلك ظل يواصل الحرب ضد المستعمرالغاصب حتى اثر سقوط عاصمة بايلكه: قسنطينة، محافظا على اخلاصه ووفائه للخلافة العثمانية التي انتظر، ولكن بدون جدوى، دعمها ومؤازرتها له في كفاحه ضد العدو الفرنسي.

ولعل صولة المستعمر واستكباره بغير حق في هذه البلاد الطاهرة ما يزيد عن قرن، ليرجع الى هذا التفكك في اواصر الامة الاسلامية اذ لم يكن تفوق الاستعمار بالقطر عسكريا, بقدر ما كان سياسيا، حيث استطاعت فرنسا باساليبها الاستعمارية الخسيسة ان تعمق الهوة بين الامير عبد القادر والحاج احمد باي، وتحول في النهاية دون وحدتهما، وهو امر طبيعي، لان ذلك يشكل خطرا على وجودها.

وبالرغم من التقارب الذي ابداه الامير تجاه احمد باي والدعوة التي وجهها اليه للوحدة ضد المحتل، فان الباي رفض.[1] لماذا؟ - فقط لانه لم يكن يعترف بسلطة اخرى عليه غير سلطة الباب العالي عليه، حيث كان يرى نفسه الوارث الشرعي لحكومة الجزائر، لذا نصب نفسه باشا كخليفة للداي حسين، في الوقت الذي كانت فرنسا تخشى فيه شبح الوحدة الرهيب بين فئات المجتمع. هذه الوحدة التي تجسدت في ثورة فاتح نوفمبر المباركة محققة النصر للمؤمنين، وصدق الله اذ يقول: "ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم".[2]

(1) A.O.M. 1 H 4, Constantine le 26 août 1839 rapport du général galbois au gouverneur général.

(2) سورة أل عمران، آية 104-105.

ملحق وثائق لم تنشر

القصيدتان الدينيتان المنسوبتان لأحمد
A.O.M., 1 E 7 X 7

يتبين من خلال هاتين القصيدتين الدينيتين المنسوبتين للحاج احمد باي انه لم يكن شاعرا أو كاتبا، وانما جاءتا تعبيرا عما يختلج في صدره وما يشعر به من ايمان وتقوى واستسلام وانكسار لارادة المولى عز وجل، اذ يبدو انه كتبهما في اخريات حياته. هذا ويلاحظ ان الوثيقتين قد بدا يصيبهما التلف، مما تعذر علينا قراءة ما كتب بدقة.

[illegible] عليه جبريل عليه السلام فقال
انبئك لا تسألني عما هو اعلم به منه
فقال يا جبريل احدث اليوم وجعا فقد
خذلتني في سكرات الموت ترك
شاو الى لقائك فقال انه يا جبريل [illegible]
يا محمد قد [illegible]
روحك الكريمة [illegible]
اسئلك فبشرني [illegible]
اعلم الشريف [illegible]
قال النبي عن هذا اسئلك فبشرني يا
منه الارض واول شافع واول مشفع
[illegible] قال النبي عن هذا اسئلك [illegible]
[illegible] من كان من [illegible]
من حاج بيت الله الحرام [illegible]
في اسرع من طرفة العين وقال يا محمد
بشر فباب التوبة مفتوح لامته
قبل موته بسنة غفرت له ولا يبالي
[illegible] لا [illegible] فصعد جبريل و
يا محمد السلام يقرئك السلام ويقول
[illegible] غفرت له وقبلت توبته
[illegible] لا [illegible] فصعد جبريل عليه
[illegible] فقال له السلام يقرئك السلام
[illegible] غفرت له ولا يبالي فقال يا
فصعد جبريل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في اسرع من طرفة

قصيدة [illegible] احمد [illegible]
(وثيقة رقم 1) [illegible] (١٤) [illegible]

[illegible] إذ يقوم المشهد

[illegible] شفاعة [illegible]

[illegible]

[illegible] ومولانا محمد وعلى آله وصحبه [illegible]

[illegible] التشمير والجحود [illegible]

[illegible] أبواب الرضى للتقي [illegible]

[illegible] عندنا [illegible]

[illegible] لا حساب والعض [illegible]

[illegible]

[illegible] فضلا [illegible]

[illegible] الخلد منزلة [illegible]

[illegible] ولا تقنطي [illegible] وخير [illegible]

[illegible] عليه وسلم

[illegible]

وأخبر [illegible]

خير الأنام

[illegible]

وتقوا [illegible]

[illegible]

الله [illegible]

[illegible]

واجعل [illegible]

وعلى [illegible]

بسم الله

[illegible]

الله وصحبه

[illegible]

الله [illegible]

[illegible]

(تابع)

رسالة تعيين في منصب القضاء
- رقم 1 مكرر-

من الحاج احمد باي الى السيد علي الزغداني
اواسط جمادى الاولى 1250هـ

لقد عثرنا على هذه الرسالة بحوزة الاستاذ جمال بالقاضي(1) الذي كانت عائلته تشتغل في وظيفة القضاء في عهد الحاج احمد باي.

هذه الرسالة التي بعث بها الباي الى الفقيه السيد علي الزغداني الذي اولاه منصب القضاء بنجع الحراكته. يقول له فيها بعد الحمد والسلام: "سي الفقيه الاجل ابتنا السيد علي الزغداني علي لنا انعمنا عليه ووليناه قاضيا بنجع الحراكته اولاد عيسى واوصيناه بان يحكم بمشهور مذهب الامام مالك بن انس الذي به الفتوى واوصيناه بتقوى الله العظيم وطاعته في السر والعلانية ومراقبة من لا تخفاه خافية". مما يبين لنا بجلاء استقلالية القضاء في عهد الحاج احمد باي والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مع الاحتفاظ بمذهب مالك رضي الله عنه في اوساط الجزائريين فقها وفتوى، بالرغم ان الاتراك كانوا على المذهب الحنفي.

(1) جامعة باجي مختار – كلية الحقوق.

رسالة من الحاج احمد باي
الى حمدان خوجة

بتاريخ 27 ربيع الاول عام 1248هـ/14 ديسمبر 1832م.
A.O.M., 1H2. وثيقة رقم (2)

لقد حسم الحاج احمد باي الموقف عندما الزم الدوق دي روفيقو حمدان خوجة بمهمة التفاوض مع الباي، حيث كتب هذا الاخيربعد التحية والسلام التقليديين، قائلا: " لقد وقع السؤال منهم سابقا- الفرنسيون- من اول الامر وتكرر صدور الجواب منا بعدم الامكان... وبينا وجه تعسب الامر وتعسره وعدم امكانه وتعزره، سابقا ولاحقا، ولو كنت حاضرا – المقصود به حمدان خوجة – لكلياتنا وجزئياتنا وما عليه احوال الناس لعلمت مقالنا وانت بارك الله فيك ذكرت انك الزمت بالقدوم الينا لاجل المفاوضة...فاقدم بمعونة الله...ويتضح لك الممكن من المستحيل، اذ المشاهدة لذلك اقوى دليل ويكون قدومك من غير التزام بشيء". مما يبين ان الحاج احمد باي، لم يكن يقبل بايت مساومة أو تنازل عن بلاده الا بعد ان يقضي الله امرا كان مفعولا.

الحمد لله   أمرنا هذا العظيم المبارك بحول الله تعالى
وقوته الحميد بيد المتقيم ... أجل ابن السيد علي الأغواطي على أن
أنعمنا عليه ووليناه قاضيا بجميع الجزائر ... عيسى وأوصيناه
بأن يحكم بالمشهور من مذهب الإمام مالك بن أنس الذي به
الفتوى وأوصيناه بتقوى الله العظيم وطاعته في السر
والعلانية ومراقبته من لا تخفى عليه خافية وأمرنا بطاعته والانقياد
لحكمه من الأيالة عليه بالحرمة والاحترام والمبرة والإكرام
بحسب الواجب على أمرنا هذا أن يعمل بمقتضاه ولا يخالفه
ولا يتعداه ومن خالف أمرنا استوجب العقوبة والنكال
والسلام من المقام الأكرم مولانا السيد الحاج أحمد باشا
أيده الله تعالى ونصره آمين ...
جمادى الأولى سنة 1250

وثيقة رقم 1 مكرر

Ahmed Pacha au Sidi Ahmdan.

14 xbre 1832

الحمد لله تعالى صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الــــى جناب الفاضل الاصفى اخينا الاوفى حمدان السيد ... صاحب الكلمة والسر
المرعي برعاية الملك الديان الاجل السيد حمدان امده الله بانوار عناية الصمد
واجرى احوالنا واحوالك على ما يسر النجاح والفلاح اهدي اليك سلاما تاما
مصحوبا بالتحية والاكرام معنونا بلطائف التبجيل والاعظام وبعد السؤال عن احوالكم
كما يجب ويليق ويحب ويرغب فاننا قد اتصل بنا انها مكتوبكم المؤرخ بـ ٢٣
بتصحيحنا ... وفهمنا ما حواه على الاجمال والتفصيل فاعلم اننا نحمد ونشكر
ونعترف بامانتك ونصحك وصفاء سريرتك وحسن معاملتك لا ننكر ذلك ولا نغفل
عنا ما هنالك وعلمنا من كتبكم ان الامر كله متوقف على المقترح وان يوافق وفد
السؤال منهم سابقا واللاحق وتكرر حضور الجواب منا بعدم الامكان وتعذر ذلك
ولو ... وقالت ... وبينا وجه نقضه الامر ونقصه وعدم امكانه وتعذره
سابقا ولاحقا ... حاضرا ناظرا الدليا ... وجرى بيننا وما عليه احوال الناس
بعلة ... لنا وانت بارك الله فيك ... انك ... بالقدوم الينا الا حسن
المعاوضة ومناولة الكلام فيما يرام ... ان شئت فاقدم ...
الينا وحرر ... اجتماعكم معنا نتشاور فيما يصلح ويتخذ المكرمون ...
اذ المشاهدة لذلك ... وقد وفد ... السؤال ... وان اراد الله
بالصلاح والاصلاح ... ان ... لنا ... حقيقة الحال
ولا ينفع ذلك الا المشافهة اذ ... ومن ... الله ...
ويبرى ... والسلام ... وحفظه الله ...

اواخر ٢٧ ربيع الاول
عام ١٢٤٨

رسالة بعث بها الحاج أحمد باي الى سيدي حمدان خوجة ،
بتاريخ 27 ربيع الأول عام 1248 هــ ،الموفق الى 4 ديسمبر1832م.
(A.O.M.1H2). (رقم 2).

رسالة من احمد باي
الى النقيب دي نوفو

رئيس ادارة الشؤون العربية بقسنطينة
(A.O.M., 6H26) (وثيقة رقم (3)

بتاريخ 7 شعبان 1264هـ الموافق ل10 جويلية 1848م

بعد التحية والسلام، يخبر احمد دي نوفو عن وصوله الى الجزائر العاصمة، كما يحثه جمع امتعته واموالهِ قائلا: "اننا وصلنا بخير وعافية الى بلد الجزائر، ففرحوا بنا الحكام غاية الفرح وعظمونا -كذا- ورفعوا قدرنا فجزاهم الله عنا خيرا، ولما جلسنا معهم خبرناهم على ما فعلتم معنا من الخيروالاحسان وشكرنا فضلكم عندهم كثيرا والمراد منا انك تحرص على خلاص متاعنا".

حضرة المعظم الأرفع الهمام

الأجل [illegible] الشيخ الأعز [illegible] الحاج احمد باي [illegible] مكان

[illegible] نعم [illegible] السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[illegible] يلمس [illegible] وصلنا خبر وعلمنا [illegible] بلد الجزاير [illegible] الحكام

[illegible] ومعهم [illegible] الشي [illegible]

ولما جلسنا معهم [illegible] معنا من الخير والاحسان

وشكرنا فضلكم عندهم كثيرا وازداد [illegible] على [illegible]

[illegible] تركناهم هناك [illegible]

لنا وكذلك [illegible] لنا [illegible] واما [illegible] الزوايل [illegible]

[illegible] عليهم احمد بن عيسى [illegible] وبعضهم [illegible]

مع الزوايل واما الزوايل [illegible] وزاد عليهم [illegible]

[illegible] وان لم [illegible] واهلوا عليهم

والحاصل [illegible] عليه [illegible] مبارك [illegible] فقط

حاجتنا [illegible] جانبنا والسلام من كتب على [illegible]

[illegible] شعبان

[illegible] سنة ١٢٦٤

رسالة من الحاج أحمد باي الى النقيب دي نوفو
بتاريخ 7 شعبان 1264هـ / 10 جويلية 1848 م.
(A.O.M.,6h26). (رقم 3)

رسالة من الحاج احمد باي
الى النقيب دي نفو
رئيس ادارة الشؤون العربية بقسنطينة

(A.O.M., 6H26)

بتاريخ 30 رمضان 1264ه/ اول سبتمبر 1848م (وثيقة4)

في هذه الرسالة يلح احمد باي على النقيب دي نفو كي يعتني بثرواته وممتلكاته، فبعد التحية والسلام كتب الباي يقول: "بلغني وتحققت به انك – المقصود به دي نفو- ما فرطت في قضيان -كذا -حوائجي، كيف لا وانت المصرف علي في جميع الامور، فالله يجازيك بالخير". هذا بعض ما جاء في الرسالة التي من خلالها حرص الباي على تنفيذ الوعود التي اتخذت اتجاهه من طرف فرنسا.

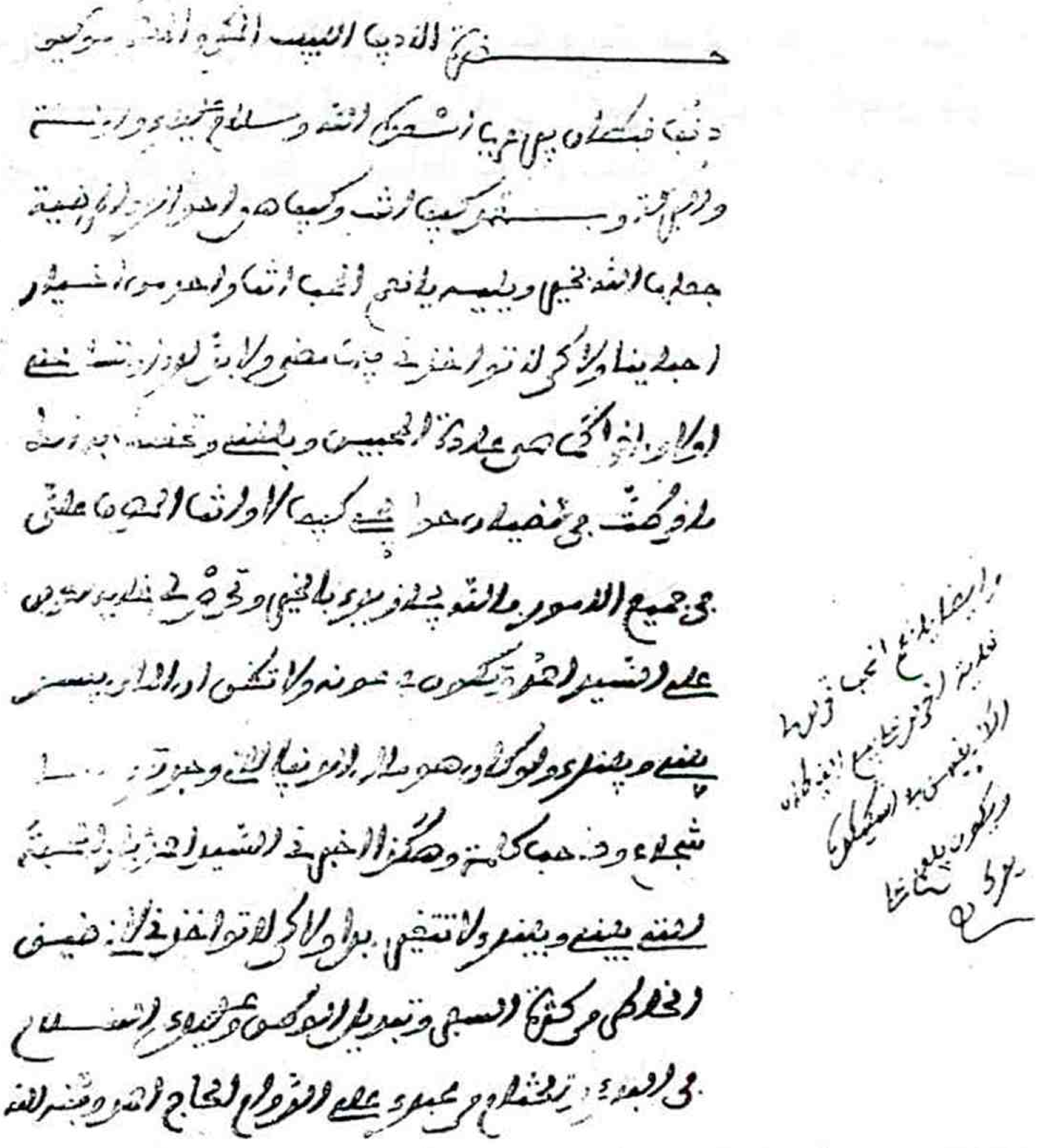

بتاريخ ٣٠ رمضان ١٢٦٤

رسالة ثانية من الحاج أحمد باي الى دي نوفو
بتاريخ 30 رمضان 1264هـ / 1 سبتمبر 4848 م.
(A.O.M.,6H 26).(رقم 4)

قوائم و ثروات الحاج احمد باي
A.O.M., 6 H 26 (وثيقة رقم 5)

الواقع ان هناك قوائم كثيرة تتعلق بثروات الباي، ننشر بعضها، والتي تم تجريدها وتسجيلها من طرف المستعمر، فهي تدخل في نطاق بنود الاتفاقية عند استسلام الباي، لكن السلطات الاستعمارية، استحوذت على تلك الثروات.

قائمة بأملاك وثروات الحاج أحمد باي

(A.O.M.,6H26). (رقم 5).

(تابع)

رقم 5

٥ | الحمد لله — بيان الاموال الموجودة عند الناس — (٣١

لوات الذي عند بوعلي بن شيخ العرب الكبير ابل الخزنا منها مائة وخمسين وبقي عندي الف وثمانمائة وخمسين ابل

عند ابن الحملاوي ستين ابل

وايضا عند ابن الحملاوي اربعة براحات يولد ومعهم احصان

وايضا عند خديم ابن الحملاوي زوج ابراحات يولد

وايضا عند محمد المقرانى اربعة ابراحات يولد

وايضا عند عبد الله المقرانى اربعة ابراحات يولد

وايضا عند عبد الله بن بوعزيز الملطوي زوج ابراحات يولد وثلاثة امهار وزوج احصون

واحمار زرقيو الاخراجي

وايضا عند محمد بن بوعزيز البعون خمسة ابراحات واربعماية نعجة وثلاثين ابل

وايضا عندي ستمائة رحل ابقيس منهم شعير والباقي قمح وفي كل رحل ستة صاع قسنطيني

وايضا عند مسعود بن ابراهيم زوج ابراحات واحصان ومعه ايضا خمسة ومشى بي مرة

وايضا عند محمد بن برهات رديف بمرض الى الولادة

نقلنا صحيح على الاصل سنة ٢٧ في ربيع الاول ١٢٦٦ هـ

(تابع)

رقم 5

الحمد لله بيان ما بلغنا من النشن (2)

اولا الاول زربية بنت كبيرة

وايضا حنبل المجعب عمل البادية

وايضا حنبل اخر لكرابلسي قديم

وايضا زربية مطرح صغيرة عمل الصحرا

وايضا زربية صغيرة عمل بر الناطول وسطها اخضر

وايضا زربية صغيرة عمل بر الترك وسطها ابيض

وايضا زربية صغيرة عمل الصحرا

وتغطية سرج ملف احمر قديم

وايضا كرسي مع حمايلها ومنعلة من غير علم

وايضا ستارة فضية خضرا مرقمة بالذهب

وايضا ديس وفدار مجمود بالفضة من غير سلاسل المذكورين

والمنطح مفقود كذا الاول

وايضا ركاب مطلي بالذهب غير ان احد الفردتين منكسرة

وايضا حرمة كتان صفرا

ومشرة احمر حرير مختلفة الالوان بالذهب

والاربعة حبال حرير مختلفة الالوان بالذهب

والاربعة مخدة حرير مختلفة الالوان بالذهب

بل واحدة من الاربعة مجمود

هذا ما بلغنا على يد بيرم ابناع الجزاير

رسالة من الحاج احمد باي
الى الحاكم العام شانزي
بتاريخ ربيع الثاني 1266هـ / 2 مارس 1850م،
(رقم 6) (A.O.M., 1 H 6)

لقد بعث الحاج احمد بهذه الرسالة الى الحاكم شانزي عندما كان هذا اللأخير على اهبة مغادرة الجزائر الى فرنسا. ومن المؤكد انه كان يستهدف من وراء ذلك تنفيذ ما اتخذه من وعود تجاهه. ولكن الظاهر لم يحدث ان تم اللقاء، بدليل ان تلك الوعود بقيت حبرا على ورق، واجبر الباي على البقاء بالجزائر العاصمة حتى وفاته.

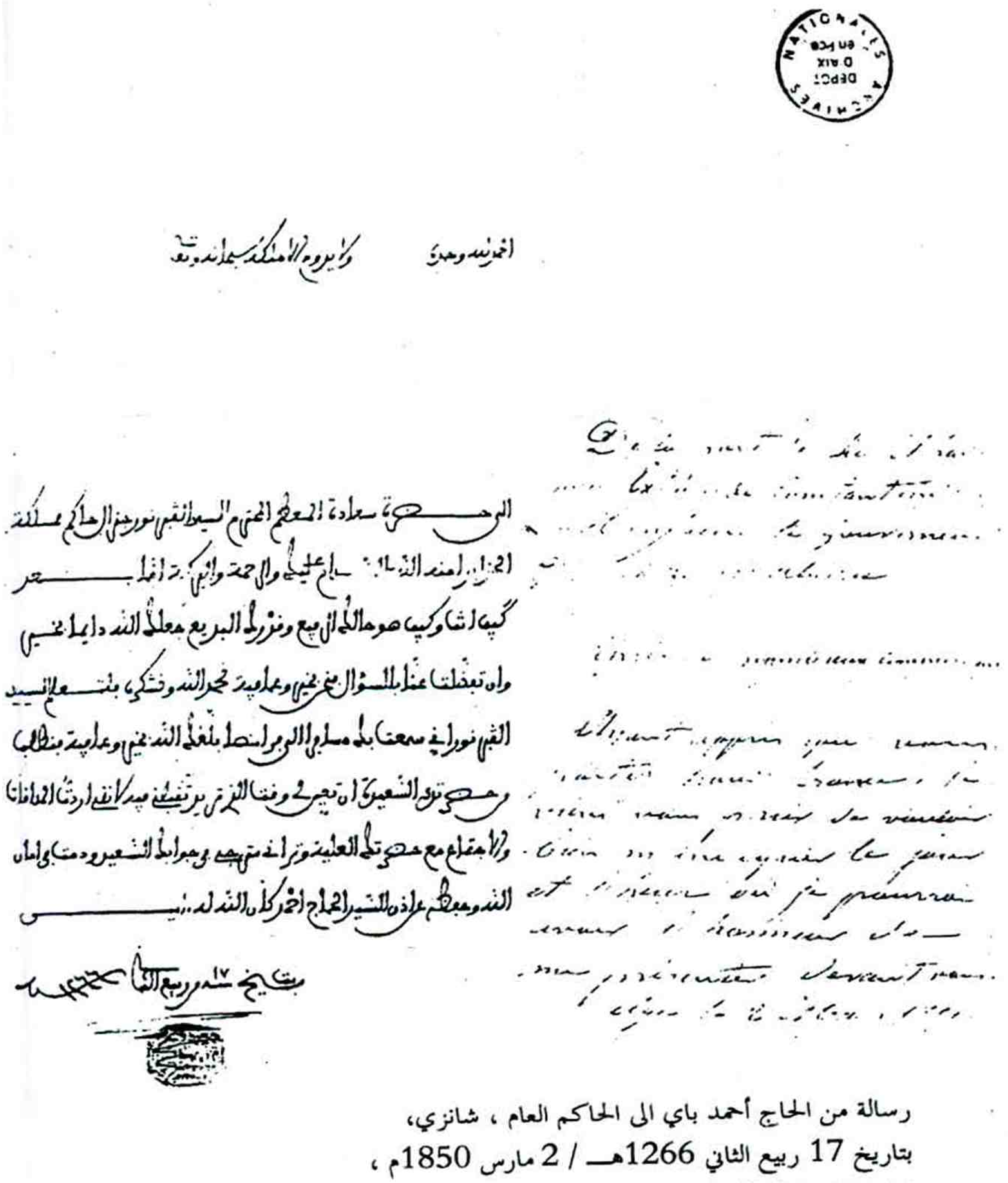
الحمد لله وحده

رسالة من الحاج أحمد باي الى الحاكم العام ، شانزي،
بتاريخ 17 ربيع الثاني 1266هـ / 2 مارس 1850م ،
(رقم 6) (A.O.M.,1H 6)

ببيليوغرافيا البحث

الأرشيف

اكس – آن بروفنس
المحفوظات الوطنية ما وراء البحار
SOUS SERIE F 80

بملف 80 الذي يشمل على مجموعة كبيرة من الوثائق المتعلقة بتاريخ الجزائر المعاصر، استطعنا ان نتصفح الوثائق الخاصة بالحاج احمد باي، على النحو التالي:

رقم الصندوق	الوثائق المطلع عليها
493	- تقارير النصف شهرية لمكتب قسنطينة ابتدءا من النصف الأول لشهر ماي سنة 1854 إلى غاية النصف الأول من شهر أوت 1846.
494	- تقرير النصف الأول لشهر مارس 1847، مكتب قسنطينة.
495	- تقارير مكتب قسنطينة، عنابة، جيجل، من النصف الأول لشهر افريل حتى النصف الثاني لشهر جوان 1848.
510	-تقرير النصف الثاني من شهر افريل والنصف الأول من شهر ماي 1848، لمكتب بسكرة.
1673	- وزارة الحرب. تقرير الماريشال فاري إلى وزير الحرب، الجزائر في 6 افريل 1839. - مختصر رسالة من قسنطينة مؤرخة في 8 ماي 1839. - تقرير من وزارة الحرب. مؤرخ في 15 جويلية 1839. - تقرير آخر مؤرخ في 30 افريل 1840. - وثائق خاصة بالحاج احمد باي قسنطينة.
1822	- ملخص أبحاث حول الضريبة من إعداد الدكتور وارنيي 1841.

SOUS SERIE H

يحتوي ملف سلسلة ه على مجموعة هامة من المراسلات والمعلومات الجغرافية والتاريخية وتراجم لرؤساء الأهالي والعائلات الكبرى... الخ، حيث اطلعنا على الوثائق المتعلقة بشخص الحاج احمد باي والتي هي كالتالي:

رقم الصندوق	الوثائق المطلع عليها
1H2	- رسالة بعث بها الحاج احمد باي إلى سيدي حمدان خوجة بتاريخ 27 ربيع الأول عام 1248ه الموافق ل 14 ديسمبر 1832.
	- رسالة متبادلة ما بين فرحات بن السعيد والحاكم العام الفرنسي بالجزائر خلال سنة 1832.
	- مراسلات أخرى تمت بين بعض رؤساء الأهالي والجنرالات الفرنسيين.
1H3	- الحكومة المركزية بالعاصمة، الجزائر في 8 مارس 1844.
1H4	- جريدة الاحتلال للقوات العسكرية، أوامر العقيد برنال والجنرال نيقريي لشهر نوفمبر 1837.
	- تقرير من حاكم مقاطعة قسنطينة إلى الحاكم العام بتاريخ 30 جوان 1839.
	- تقرير من الجنرال قالبوا إلى الحاكم العام بتاريخ 26 أوت 1839.
	- مختصر المراسلات الأفريقية لسنة 1841.
1H6	- رسالة من الحاج احمد إلى الحاكم العام بتاريخ 17 ربيع الأول 1266هـ/ 2 مارس 1850
2H21 رقم	- رسالة من الجنرال دي صال حاكم قسنطينة إلى الحاكم العام بتاريخ 25 افر يل 1849.

الصندوق	الوثائق المطلع عليها
2H22	- رسالة أخرى من دي صال إلى وزير الحربز بتاريخ 22 أكتوبر 1849.
2H25	- مهمة قام بها النقيب قوسلين عند أولاد دامبر، تقرير حول المهمة مرسل إلى الدوق دومال في 28 جويلية 1844. - تقرير عن مهمة قام بها الملازم الأول دولاتر بالقبائل البدوية التابعة لشيخ العرب في خلال سنة 1848
2H26	- دائرة باتنة تقرير المكتب العربي للنصف الثاني من شهر جويلية 1849.
6Hbis	- زمالة الحاج احمد باي. ثروات الباي و ممتلكاته. - معلومات سياسية 1844-1848. قسنطينة، في 1 جويلية 1844، تقرير مرسل إلى الحاكم العام.
6H25	- تراجم بيوغرافية لرؤساء ووكلاء الأهالي. سطيف في، 19 أوت 1850.
6H26	- ترجمة بيوغرافية للشيخ احمد بوعكاز بن عاشور بفرجيوة.
8H3	- رؤساء وشخصيات أهلية. الخليفة احمد المقراني بمدجانة. - تقرير من حاكم قسنطينة بتاريخ 10 جوان 1848. - رسالتان من الحاج احمد باي إلى النقيب دي نوفو، الأول بتاريخ 8 شعبان 1264هـ الموافق بـ10 جويلية 1848، والثانية بتاريخ 30 رمضان 1246هـ / 1 سبتمبر 1848.
10H11	- تاريخ قبائل دائرة قسنطينة 1854. - التنظيم العسكري للأتراك بالجزائر. - تاريخ قبائل مقاطعة قسنطينة. - تنظيم المخزن التركي بمقاطعة قسنطينة.
10H12	- تاريخ قبائل مقاطعة قسنطينة
10H15	- لمحة تاريخية حول قبيلة اولاد سيدي عبيد بدائرة تبسة. معلومات شتى 1856. - تاريخ قبيلة النمامشة.
رقم	- معلومات تاريخية وجغرافية. قسمة مدينة عنابة.

الصندوق	الوثائق المطلع عليها
10H17	تاريخ دائرة باتنة من إعداد النقيب مارميي، باتنة في،1848/12/31.
10H18	- معلومات إحصائية حول مدينة بسكرة 1844. - ملخص تاريخي لدائرة بسكرة خلال عام 1846.
10H56	- تاريخ دائرة بسكرة. بسكرة في 1848/12/31. - لمحة بيوغرافية حول شخصية بوعكاز بن عاشور، قائد فرجيوة.
10H76	- تقرير حول استسلام الحاج احمد باي قسنطينةمن إعداد – الضابط سانت – جرمان إلى العقيد كونروبال.
10H49	- صورة عن الحالة السياسية للأهالي الجزائريين، مؤرخة ما بين 10 إلى 15 ديسمبر 1837. - الميدان في، 17 أكتوبر 1837، بمناسبة مرور مائة سنة عن احتلال مدينة قسنطينة.

SOUS SERIRE HH .

إن هذا الملف يشتمل على عدد كبير من السجلات التاريخية التي تكمل ما جاء في تقارير ضباط المكاتب العربية, حيث عثرنا على سجل واحد به وثائق تتعلق بالحاج احمد باي وهي كالتالي:

رقم التسجيل	الوثائق المطلع عليها
1HH14	- تقرير يتعلق بمدى نفوذ وتأثير الحاج احمد باي قسنطينة, مؤرخ في 19 ماي 1848 رقم 76. تقرير يتعلق بشكاوى احمد باي حول أمتعته وثرواته, بتاريخ 19 أوت 1848 رقم 135. - تقرير من الجنرال ماراي مونج قائد مقاطعة قسنطينة إلى الحاكم العام حول الباي احمد بتاريخ 27 أوت 1848 رقم 139.

SOUS SERIE KK

إن هذا الملف يحتوي على سجلات تاريخية هامة, بها وثائق لا حصر لها, تتكون من مراسلات وتقارير الضباط الفرنسيين؛ أما فيمل يتعلق بالحاج احمد فقد عثرنا على التقارير التالية حول نشاط الباي وتحركاته...الخ:

رقم التسجيل	الوثائق المطلع عليها
1KK2 1KK3 1KK8 10KK23 10KK30 10KK31 10KK32 32KK10.11	- تقرير مؤرخ في 22 ديسمبر 1845م. رقم 50. - تقرير مؤرخ في 19 جانفي 1845م. رقم 3. - رسالة من قائد مقاطعة قسنطينة الى الحاكم العام، بتاريخ 12 ماي 1848م رقم 88. - تقرير من قسمة قسنطينة الى الحاكم العام، بتاريخ، 23 جوان 1848 رقم 128. - تقرير من حاكم فسنطيتو بتاريخ 20 جوان 1852 رقم 210. - تقرير بتاريخ 10 جانفي 1845. - تقرير بتاريخ 27 اكتوبر1845 رقم 280، يتعلق بشيخ العرب. - تقرير القيادات الاهلية: الحاج احمد بوعكاز بن عاشور، قائد فرجيوة وا لبابور.

SOUS SERIE (1 E)

لم نعثر بهذا الملف سوى على وثيقتين منسوبتين الى الحاج احمد باي, وهما عبارة عن قصيدتين دينيتين تحت رقم 7 * 7.

II - المحفوظات الوطنية بباريس

وزارة الحرب بفانسان

SOUS SERIE H

لم نعثر بهذا الملف سوى فقط على وثيقتين أو تقريرين **يتعلقان بالحاج احمد باي:**

رقم الصندوق	الوثائق المطلع عليها
126	- تقرير مرسل الى وزارة الحربية من قائد مقاطعة قسنطينة بتاريخ، 7 جويلية 1848، يتعلق هذا التقرير بالعناصر التي تم القاء القبض عليها نظرا، لما ابدته من عطف واستشعرت به من واجب تجاه الباي احمد.
131	- تقرير العقيد هربيون حول علاقة الباي احمد بقائد ثورة الزعاطشة، بوزيان تاريخ التقرير، في 14 ماي 1850

المؤلفات العربية والأجنبية

وسائل بيبليوغرافية

PLAYFAIR (Sir R.Lambert), A bibliographie of Algeria from the expedition of Charles V. in 1541 to 1887 (londres, 1898), 304 p. – supplement to the bibliographie of Algeria from the carlest times to 1895 (londres, 1998), 321 p.

Bibliographie militaire des ouvrages français ou traduits en français et des articles des principales revues françaises, relatifs à l'Algérie, à la Tunisie et au Maroc de 1830 à 1926. Imprimerie nationale 1930-1935, 4 vol. I et II Algérie (4193 notices jusqu'à 1926).

Bibliographie militaire de la revue Africaine (1856-1953), avec indication des officiers ayant fait ou servi l'histoire durant la X^{e} région militaire).
Alger, anc. Imp. Heintz, 1954 25 cm, 98 p.

Bibliographie d'histoire coloniale – 1900-1930, parie, 1932, 667 p.
FLORY(M) le tourneau (R.), TRISTAM (J.P.) – L'Afrique du Nord-Etat des travaux, in revue française des sciences politiques, vol. IX. N°2 juin 1959, p. 410-453.

JULIEN (CH. A.), Histoire de l'Algérie contemporaine (1821-1871), paris, 1964, p.506 à 588.

MARTEL (A.), Etat des recherches historiques françaises sur le Maghreb contemporain. Atti Del III congresso di sendi Arabique Islamici, Ravel 1966 (Napoli, 1967), p.4093-509.

TAILLART (CH.), L'Algérie dans littérature française, paris 1925, in 676 p.

المؤلفات العربية

احمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب إشراف الجزائر، الحاج احمد الشريف الزهار، 1128-1246ه 1754-1830م، تحقيق احمد توفيق المدني، ط2، الجزائر 1980م، 196 ص.

احمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، الجزائر 1973م.

الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الجزائر، 1972م، 351 ص.

العنتري محمد الصالح، الفريدة المؤنسة أو تاريخ بايات قسنطينة، قسنطينة 1846م المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، تحت رقم 1727، 207 ص.

العيد مسعود سعيد، المجتمع الجزائري في ظل الحكم العثماني رسالة لم تنشر.

الجزائري، الامير محمد بن الامير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر، شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي، الطبعة الثانية، بيروت، 1964م.

تشرشل شارل هنري، حياة الامير عبد القادر، ترجمة وتعليق د. ابو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974م.
جريدة المبشر، عدد 20 بتاريخ 28 رجب 1264ه/ 30 جوان 1848م وعدد 21 بتاريخ 15 شعبان 1264ه/ 15 جويلية 1848م.

حمدان بن عثمان خوجة، المرآة تقديم وتعريب وتحقيق د. محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1975م، 312 ص.

سعد الله ابو القاسم، المفتي الجزائري ابن العنابي، رائد التجديد الاسلامي 1775م-1850م، الجزائر، رقم النشر77556، 151ص.

سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830م، الجزائر، 1979م، 341 ص.

صالح فركوس، بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير 1779-1796م، جامعة قسنطينة، 1979م، رسالة لم تنشر، 178م.

كوران ا.، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي، الطبعة الثانية، تونس،1974م، ص69 ص.

مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ترجمة وتعليق محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1973م، ص ص11- 111.

يحيى بوعزيز، الامير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الطبعة الثانية دار الكتاب الجزائري، مطابع دار الفكر، دمشق، 1964م.

المؤلفات الاجنبية

AZAN (Général P.)

L'armée d'Afrique de 1830 à 1852. Collection du centenaire de l'Algérie, paris, 1936, in 4e, 524 p.

BONNAFONT Dr.

Réflexions sur l'Algérie, particulièrement de la prinvince de Constantine, Paris, 1846, 59 p.

BOU-AZIZ BEN-GANA,

Cheikh El-Arab, étude historique sur la famille de Ben-gana, Alger, 1930, 158 p.

CHARLES ROUX (Ch. H.).

France du nord avant 1830,-les précurseurs de la conquête, paris, 1932, 479 p.

DEVOULX (Albert), tachrifat.

Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, ALGER, 1852, 99 p.

DOURNON (A.),

Kitab tarikh Constantine par el hadj Ahmed el-m'barek, revue africaine, 1913, pp. 265-305.

EMERIT (M.),

Les mémoires d'Ahmed Bey de Constantine, revue africain, 1er et 2e trimestres, 1949, pp. 65 à 124.

FERAUD (l.CH.),

- Histoire des villes de la province de Constantine, Sétif, Bordj Bou arreridj, messila et Boussaâda (recueil des notices et mémoires de la société archéologique de Constantine), Constantine, 1871, 1872, 380 p.

- Ferdjioua et zouar'a, notes historiques sur la province de Constantine, revue africaine, tome XXII, 1878, pp. 5, 81, 161, 241 et 321.

- Monographie du palais de Constantine in, R.S.A.C. 1867, pp. 1-96

- Le Sahara de Constantine ; notes et souvenirs, Alger, 1887, in -8, 528 p.

Documents pour servir à l'histoire de Bône R.A., 1873, tome XVII.

FERKOUS (S.),

Occupation et résistante-les Bureaux arabes dans la province de Constantine (1844-1857), université Valéry, montpelier, juin 1984, 449 p.

GRAMMONT (H.D),

Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), PARIS, 1887, 420 P.

LEHURAUX (L),

Le nomadisme et la colonisation dans les hauts plateaux de l'Algérie, éditions du C.A.F, Paris, 1931, 248 p.

MAITROT (capitaine),

Bône, militaire, 44 siècles de luttes du XXIVe avant au XXe siècle notre ère, Bône, 1912, 548 p.

MERCIER(E)

Histoire de Constantine, Constantine, 1930, 370 p.

PARADIS (V.de),

Alger au XVIIIe siècle, édité par E.FAGNAN, Alger, Jourdan, 1898, 178 p.

PELLISSIER DE REYNAUD,

Annales algériennes, nouvelle édition revue et corrigée jusqu'à la chute d'Abdelkader, avec une appendice contenant le résumé de l'histoire de l'Algérie de 1848 à 1854 et divers mémoires et documents, 3 volumes, VII-478 p., 578 p., Paris-Alger-Bastide. 1854.

RINN (L),

Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Alger, Jourdan, 1891, 690 p.

SEROKA (J.A.Commandant),

Le, Sud constantinois de 1830 à 1855, revu Africaine. 1912 pp. 375 à 446.

SERRES (J.),

La politique turque du nord sous la Monarchie de juillet, Paris-geuthner, 1925, 392 p.

TABLEAU DE LA SITUATION DES ETABLISSEMENTS FRANÇAIS en Algérie de 1838 à 1840

TEMIMI (A.),

Le beylik de Constantine et hadj Ahmed Bey (1830-1837), Tunis, 1978, 303 p.

Trois lettres de hadj Ahmed bey de Constantine à la Sublime Porte, in R.O.M.M., N° 3, Aix, 1968, p. 12-152.

VAYSETTES (E.),

Histoire de Constantine sous la dominatin turque de 1517 à 1837. Challomel, 1869, 424 p.

IVER (G.),

Correspondance du marcéal Valée, gouverneur général des possessions françaises dans le nord de l'Afrique

(octobre 1837-1838), tome I, Paris, 1949, 319 p. + tome II., (juin-décembre 1838), Paris, 1850, 467 p.

- Documents relatifs au Traité de la Tafna (1837), Alger-Bastide-Jourdan, 1924, 584 p.

ZURCHER (M.),

la pacification et l'organisation de la Kabylie orientale de 1838 à 1870, Paris Belles Lettres, 1948, in-8e, 127 p.

الفهرس

مقدمة 7

الباب الأول

الحاج أحمد باي وبايلك الشرق الجزائري

الفصل الأول

I – إيالة الجزائر.. 13
1 – الوضع الداخلي 13
2 – السياسة الخارجية 17
II - الحاج أحمد باي 19

الفصل الثاني

الجهاز الإداري للباي والتنظيم الإداري

- بايلك قسنطينة 25
I - الجهاز الإداري للباي 26
- موظفو الباي 26
II - التنظيم الإداري 28

الفصل الثالث

I - النظام الجبائي والقضائي.. 35
1 – الضريبة 35
2 – القضاء 39
II - قوات الباي العسكرية 40

الفصل الرابع

السياسة التي انتهجها الباي في حكم بايلكه

I - سياسته تجاه القبائل 45

II - سياسته تجاه العائلات الكبرى 47
أولا – أسرتنا : ابن قانا وأولاد بوعكاز 48
ثانيا - أسرة أولاد مقران 50
ثالثا – أسرتا بوعكاز بن عاشور وابن عز الدين بالزوارة 51

الباب الثاني

الحاج أحمد باي والاستعمار الفرنسي

المقاومة ضد الاحتلال

الفصل الخامس

الحاج أحمد إثر احتلال الجزائر العاصمة

I - موقف الحاج أحمد باي من العدو الفرنسي 59
II- الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر 63
III- الحاج أحمد باي والباب العالي 65
IV- نحو احتلال مدينة قسنطينة 66

الفصل السادس

الحاج أحمد باي والمارشال فالي

I- احتلال مدينة قسنطينة 71
II - المفاوضات 72
III - محاولة استغلال العدو بين فرحات وأحمد 75
IV - استئناف المفاوضات مع الباي.. 77

الفصل السابع

I- حث السكان على الجهاد 83
II - نهاية الحاج أحمد باي 90
- الخلاصة 95
- ملحق وثائق لم تنشر 98
- بيبليوغرافيا البحث 117
- الفهرس 135

أنجز طبعه على مطابع
ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية - بن عكنون
الجزائر